البَيَانُ وَالتَّفْصِيل لِطَرَائِقِ التَّحْصِيل

تصنيفُ

أ.د. أحمد بن علي القرني

الطبعةُ الأولى

١٤٤٦ هـ

الطبعةُ الأولى

رمضان ١٤٤٦هـ

للتواصلِ معَ المؤلِّف

على البريدِ الشَّبَكي

DAL1388@gmail.com

طَـرَائِـقُ الـعِـلْـمِ شَتَّى جَـمَعْتُهَـا فِـي كِتَابِـي

فَـسِـرْ عَـلَـيْـهَـا لِـتَـرْقَى وَتَـهْـتَـدِي لِـلـصَّـوَابِ

ولَـيْـسَ كُـلُّ طَـرِيـقٍ تَـرُومُـهُ بِـالـطِّـلَابِ

تَـظُـنُّـهُ سَـوْفَ يُـهْـدِي إِلَيْـكَ حُلْـوَ الرِّغَـابِ!

فَـالـعِـلْـمُ شَـيءٌ عَـزِيـزٌ صَعْـبٌ رَفِـيـعُ الـجَنَـابِ

قُـدُورُهُ رَاسِـيَـاتٌ جِـفَـانُـهُ كَـالـجَـوابِ!

فَـاجْـنَـحْ إِلَـيْـهِ وَبَـادِرْ وَاغْـنَـمْ رِيَـاحَ الشَّـبَـابِ

فَالعُمْـرُ لَوْ كُنْـتَ تَدْرِي يَـمُـرُّ مَـرَّ الـسَّـحَـابِ!

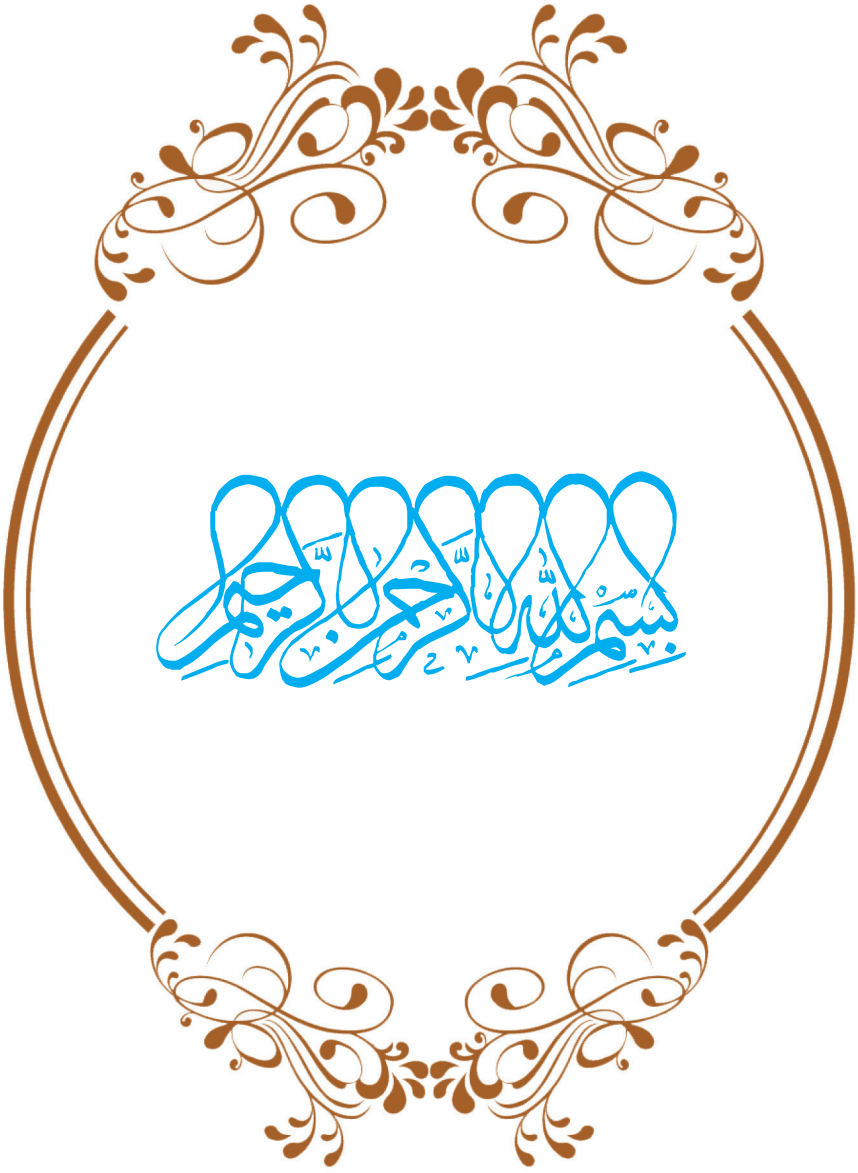
بسم الله الرحمن الرحيم

الـمُقَدِّمَةُ

الـحَمْدُ لِلَّهِ العَظِيمِ الجَلِيل، وَالصَّلَاةُ وَالسَّـلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا الخَلِيل، وَعَلَى آلِهِ ذَوِي الـمَجْدِ الأَصِيل، وَأَصْحَابِهِ أُولِي التَّأْصِيلِ وَالتَّحْصِيل، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَاتَّبَعَ السَّبِيل.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ طُرُقَ تحصيـلِ العُلوم كثيرةٌ متعدِّدةٌ، كُلُّ طريق منها جديرٌ بأنْ يُفيدَ سالكَهُ، إذا أحسنَ السيرَ فيه، وأحاطَ بأبعادِهِ ومَرامِيه.

إلَّا أنَّ هذهِ الطُّرُقَ تتفـاوتُ فيما بينَها طُولًا وقِصَرًا، شِدَّةً ويُسْرًا، قُوَّةً وضَعْفًا، وهذا أمرٌ ليسَ غريبًا؛ خُصوصًا إذا ما نظرنا إلى طبيعةِ كُلِّ علمٍ من تلكَ العلومِ.

وطالـبُ العلـمِ الحريصُ يَهُمُّـهُ كثيرًا معرفـةُ طُرُقِ تحصيـلِ العلمِ التي تُوصلُـهُ إلى مقصـوده ومحبوبِهِ، لكنـهُ قدْ يَجهـلُ تلكَ الطُّـرُقَ، وقـدْ يَحتـارُ في اختيارِ الطريقِ الأوفقِ لقُدْرتِهِ واستعدادِهِ.

❋❋❋

لـذا؛ أحببتُ أنْ أجمعَ لهُ ذلـكَ كُلَّهُ في مكانٍ واحدٍ؛ لتقريبِ الأمرِ لهُ، وتيسـيرِهِ عليهِ؛ حتى لا يَتشـتَّتَ ذِهْنُ المتعلِّـمِ بيـنَ شـتَّى الطرائقِ التـي تواضـعَ عليها أهلُ الخِبرةِ لتحصيلِ العلومِ؛ وليتسـنَّى لهُ - بعدَ ذلكَ - أنْ يختارَ لنفسِهِ منها ما يُناسبُهُ.

وقَدْ قُمْتُ باستلالِ نظمِ هذهِ الطرائقِ من منظومتي: «الـدُّرَر البَهِيَّة، والغُرَر العِلْمِيَّة»، وذكرتُها كإشـراقاتٍ

بعدَ كلِّ طريقةٍ مِنْ هذهِ الطرقِ؛ لِيسهُلَ تذكُّرُها وضبطُهَا.

ومَنْ أرادَها مَجموعةً، فَلْيرجِعْ إلى المنظومةِ المذكورةِ.

❋❋❋

وفي استطاعةِ المُتعلِّم أنْ يُجرِّبَ في طلبِه العلمَ أكثرَ من طريقةٍ، سواءٌ أكانتْ مُتفرِّقةً في أوقاتٍ وأحوالٍ شتَّى، أَمْ مُجتمعةً في وقتٍ واحدٍ؟ وهذا يعودُ لطبيعةِ كُلِّ علمٍ، ولاستعدادِ كُلِّ شخصٍ.

وبِكُلِّ حالٍ؛ فالأمرُ يعودُ إلى تقديرِ المتعلِّمِ وذَوْقِه، أو لاجتهادِ مُعلِّمِه وأُستاذِه؛ لأنَّ هذهِ الطرقَ كُلَّهَا وسائلُ؛ الغرضُ منها أَنْ يَصِلَ السالكُ إلى مُبتغاهُ، مِنْ أقربِ سبيلٍ وأيسرِ طريقٍ.

ومِمَّا يُحفِّزُ على الاهتمامِ بهذهِ الطرقِ والمسالكِ، أنها مُندرِجَةٌ جميعًا - إنْ شاءَ اللهُ تعالى - تحتَ قولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ»[1]، فكلمةُ (طريقًا) نكرةٌ في سياقِ الشرطِ[2]، فتَعُمُّ كُلَّ طريقٍ يُوصِلُ للعلمِ، أَيْ: أَنَّ أَيَّ طريقٍ سلكَ المتعلِّمُ، فإنهُ داخلٌ في هذا الموعودِ، بفضلِ اللهِ ذِي المَنِّ والجُودِ، واللهُ أعلمُ.

❋❋❋

(١) أخرجه مسلمٌ في صحيحِهِ (ح ٢٦٩٩).

(٢) قال الشيخُ ابنُ عثيمينَ في «منظومة أصول الفقه وقواعده»:

مُنكَّرٌ إِنْ بَعْدَ إِثْبَاتٍ يَرِدْ ... فَمُطْلَقٌ، وَلِلْعُمُومِ إِنْ يَرِدْ

مِنْ بَعْدِ نَفْيٍ نَهْيٍ اسْتِفْهَامِ ... شَرْطٍ، وَفِي الإِثْبَاتِ لِلإِنْعَامِ

وقَدْ حاولتُ أَنْ أجمعَ في هذا الكتابِ كُلَّ ما تَحَصَّلَ لديَّ من طرائقِ تحصيلِ العلمِ، نقلًا أو اجتهادًا، فبلغتْ عشرينَ طريقةً، وسمَّيتُهُ:

«البَيَان وَالتَّفْصِيل
لِطَرَائِقِ التَّحْصِيل»

واللهَ أسألُ أَنْ يَنفعَ بهذا المَكْتوبِ طُلَّابَ العلمِ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، إنهُ على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ، وبالإجابةِ جَديرٌ.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.

وكتبَ

أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ أحمدَ القَرْنيّ

غُرَّةُ شهرِ رمضانَ المباركِ

١٤٤٦هـ

طَرَائِقُ
تَحْصِيلِ العُلُومِ

١ – الطّرِيقَةُ النّمُوذَجِيّةُ

هذهِ الطريقةُ هيَ أشهرُ طرقِ تحصيلِ العلومِ والفنونِ على الإطلاقِ، وهيَ طريقةُ: (**المَتْنِ، والشَرْحِ، والحَاشِيَةِ**).

وهيَ الطريقةُ التقليديَّةُ التي مَشَى عليها جُلُّ العلماءِ، بَدْءً منَ القرنِ الرابعِ تقريبًا، وحتى وقتِنا الحاضرِ.

أمَّا القرونُ الثلاثةُ الأولى فلم تكنْ هذهِ الطريقةُ مُشتهِرةً بينهمْ، بلْ كانَ معظمُ المشتغلينَ بالعلمِ في تلكَ الأعصارِ والأمصارِ، يعتمدونَ على السماعِ والحفظِ، أوِ التقييدِ والتدوينِ.

وهـذهِ الطريقـةُ تقومُ علـى مَتْـنٍ يَعتمِـدُهُ المتعلِّمُ ويحفظُـهُ، أو يُكَـرِّرُهُ كثيرًا، بحيثُ يَسـتحضرُ مسـائلَهُ استحضارًا جيدًا.

ويسـتعينُ على فهمِ هذا المتنِ بشَرحٍ واحدٍ أو عِدَّةِ شُروحٍ، وربما أضافَ إليها بعضَ الحواشي التي تُوضَعُ عادةً لتوضيحِ الشروحِ؛ لزيادةِ التوسُّعِ والتبحُّرِ.

وقَدْ تعدَّدتْ هـذهِ المتونُ وتنوَّعتْ، مـا بينَ: متونِ دلائلَ، ومتونِ مسـائلَ، وما بينَ متونٍ منظومةٍ، ومتونٍ منثورةٍ[(١)].

---

(١) **كتـبُ الدلائلِ أوِ (الأدلـةِ)**: هيَ الكتبُ التـي جمعَ العلماءُ فيها أدلَّةَ المسائلِ منَ الكتابِ والسنةِ، في العقيدةِ، أو الفقهِ، أو الآدابِ، أو غيرِها، مُرتَّبةً على الأبوابِ. =

وقَدْ تَخَرَّجَ على هذهِ الطريقةِ معظمُ علماءِ الإسلامِ قديمًا وحديثًا؛ لأنها مناسبةٌ لجميع المتعلِّمينَ. ولكنَّ الشأنَ في حسنِ اختيارِ: **المَتْنِ، والشَّرْحِ، والأُستاذِ!**

❋❋❋

= وكتبُ المسائلِ: هيَ الكتبُ التي جمعَ فيها العلماءُ مسائلَ العلومِ المختلفةِ، مُرتَّبةً على الأبوابِ. وهيَ الأكثرُ والأشهرُ.

إِشْرَاقَةٌ

طَرِيقَـةُ السَّـلَفِ الأَخْيَـارِ أَعْلَاهَـا

فَاعْمِـدْ إِلَيْهَـا فَمَـا أَحْلَـى مَزَايَاهَـا

(مَتْنٌ) وَ(شَـرْحٌ) يَرُوقُ العَيْنَ مَرْآهَا

وَلَا تُفَـوَّتْ (حَوَاشٍ) طَـابَ مَغْنَاهَا

تُفَتِّـقُ الذِّهْنَ عِنْـدَ البَحْـثِ وَالنَّظَرِ

❋❋❋

٢ – الطَّرِيقَةُ المَرْكَزِيَّةُ

أنسبُ شيءٍ للسيرِ على هذهِ الطريقةِ: هيَ كتبُ (الدلائلِ) منَ الكتابِ أو منَ السنةِ؛ وذلكَ لأنَّ النصوصَ غزيرةُ الفوائدِ.

وهيَ تنقسمُ إلى قسمينِ:

أ – كُلِّيَّةٍ: وهيَ أنْ يَعْمِدَ المتعلِّمُ إلى أصلٍ جامعٍ: كالقرآنِ الكريمِ، أو مصدرٍ من مصادرِ السنةِ المشهورةِ، كصحيحِ البخاريِّ مثلًا، فيجعلَهُ أصلًا ومَركزًا؛ لاستخلاصِ جميعِ العلومِ والمعارفِ التي يستطيعُ تحصيلَها منهُ.

ولا شَكَّ أنَّ القرآنَ الكريمَ أصلٌ كَبيرٌ، ومَوردٌ نَميرٌ، تتفجَّرُ منهُ جميعُ العلومِ والمعارفِ، **كما قيلَ:**

وكُـــلُّ الـعـلـمِ في الـقـرآنِ لَـكِـنْ

تـقـاصَـرُ عـنـهُ أفـهـامُ الـرجـالِ[1]

---

(١) وقالَ الإمامُ الصنعانيُّ عنِ القرآنِ:

كِتَـابٌ حَـوَى كُلَّ العلـومِ، وَكُلُّ مَا
حَـوَاهُ مِن العلمِ الشَّريفِ صَـوابُ
فَـإِنْ رُمْـتَ تَأْرِيـخًا رَأَيْـتَ عَجَائِبًا
تَـرَى آدَمًـا إِذْ كَـانَ وَهْـوَ تُـرَابُ
وَلاقَـيْـتَ هَـابِـيـلاً قَـتِـيْـلَ شَقِيْقِهِ
يُـوارِيْـهِ لَـمَّـا أَنْ أَرَاهُ غُـرابُ!
وَتَنْظُرُ نُوحًا وَهْوَ فِي الفُلْكِ قَدْ طَغَى
عَلَى الأرضِ مِن مَاءِ السَّمَاءِ عُبَابُ
وَإِنْ شِـئْتَ كُلَّ الأَنْبِيَـاءِ وَقَوْمَهُـمْ
وَمَـا قَـالَ كُـلٌّ مِنْهُـمُو وَأَجَـابُـوا
وَإِنْ تُـرِدِ الوَعْـظَ الـذِي إِنْ عَقِلْتَـهُ
فَـإِنَّ دُمُـوعَ العَيْـنِ عَـنْـهُ جَـوَابُ=

=تَجِدْهُ وَمَا تَهْوَاهُ مِن كُلِّ مَشْرَبٍ،
وَلِلروحَ مِنْهُ مَطْعَمٌ وَشَرَابُ

وَإِنْ رُمْتَ إِبْرَازَ الأَدِلَّةِ فِي الَّذِي
تُرِيْدُ فَمَا تَدْعُو إِلَيهِ تُجَابُ

تَدُلُّ عَلَى التَّوحِيدِ فِيهِ قَوَاطِعٌ
بِهَا قُطِّعَتْ لِلْمُلْحِدِينَ رِقَابُ

وما مَطْلَبٌ إِلا وَفِيهِ دَلِيْلُهُ
وَلَيْسَ عَلِيْهِ لِلْذَّكِيِّ حِجَابُ

وَفِيهِ الدَّوَا من كُلَّ دَاءٍ فَثِقْ بِه،
فَواللهِ ما عنهُ يَنُوبُ كِتَابُ

يُرِيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيْمًا، وَغَيْرُه
مَفَاوِزُ جَهْلٍ كُلُّها وَشِعَابُ

يَزِيْدُ عَلَى مَرِّ الجَدِيْدِيْنِ جَدَّةً
فَأَلْفَاظُه مَهْمَا تَلَوْتَ عِذَابُ

وآياتُهُ في كُلِّ حِيْنٍ طَرِيَّةٌ
وَتَبْلُغُ أَقْصَى العُمْرِ وَهْيَ كِعَابُ=

وقَدْ ذهبَ طائفةٌ منَ العلماءِ منهمْ ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى أنَّ القرآنَ حوى جميعَ العلومِ.

وحُجَّتُهمْ على ذلكَ قولُه تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقولُه تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، على قولِ مَنْ قالَ إنَّ المرادَ بهذهِ الآيةِ القرآنُ الكريمُ.

=وفيه هُدًى لِلْعَامِلِينَ وَرَحْمَةٌ
وَفِيهِ عُلُومٌ جَمَّةٌ وَثَوَابُ

ديوان الصنعاني (ص: ٦٥).

وقد ذكرَهَا بتمامِهَا أيضًا: ابنُ غنَّامٍ في «تاريخ نجد» (١/ ١٩٨)، وصديقُ حسن خان في «الحطّة» (ص: ١٥٥).

وهيَ قصيدةٌ طويلةٌ جليلةٌ.

وما شابَهَ ذلكَ مِنَ النصوصِ.

قالَ ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أُنزِلَ في هذا القرآنِ كُلُّ علمٍ، وكلُّ شيءٍ قد بُيِّنَ لنا في القرآنِ» أخرجهُ الطبريُّ (١).

وقالَ أيضًا: «منْ أرادَ العلمَ فَلْيُثَوِّرِ القرآنَ؛ فإنَّ فيهِ علمَ الأولينَ والآخِرينَ» أخرجهُ الطبرانيُّ (٢).

وقالَ ابنُ أبي الدنيا: «علومُ القرآنِ وما يُستنبطُ منهُ بحرٌ لا ساحلَ لهُ!» (٣).

---

(١) في جامع البيان (١٤/ ٣٣٤).

(٢) في المعجم الكبير (٩/ ١٣٦) رقم (٨٦٦٦).

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ١٢١٢).

وقالَ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ المُرسي: «جمعَ القرآنُ علومَ الأولينَ والآخرينَ، بحيثُ لم يُحِطْ بها عِلْمًا حقيقةً إلَّا المتكلِّمُ بها، ثم رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خلا ما استأثرَ بهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثم ورثَ عنهُ معظمُ ذلكَ ساداتُ الصحابةِ وأعلامُهم، مثلُ: الخلفاءِ الأربعةِ وابنِ مسعودٍ وابنِ عباسٍ؛ حتى قالَ: «لو ضاعَ لي عقالُ بعيرٍ لوجدتُهُ في كتابِ اللهِ تعالى!».

ثم ورثَ عنهمْ التابعونَ بإحسانٍ، ثم تقاصرتِ الهممُ، وفترتِ العزائمُ، وتضائلَ أهلُ العلمِ، وضَعُفُوا عنْ حملِ ما حملَهُ الصحابةُ والتابعونَ من علومِهِ وسائرِ فنونِهِ، فنوَّعوا علومَهُ، وقامتْ كلُّ طائفةٍ بفَنٍّ من فُنونِهِ»[1].

(١) المصدر نفسه (٢/ ١٠٢٧).

وقالَ الزركشيُّ: «كلُّ علمٍ من العلومِ مُنتزَعٌ منَ القرآنِ، وإلَّا فليسَ له برهانٌ»[1].

وقالَ السيوطيُّ: «اشتملَ كتابُ اللهِ على كُلِّ شيءٍ. أمَّا أنواعُ العلومِ فليسَ منها بابٌ ولا مسألةٌ - هيَ أصلٌ - إلَّا وفي القرآنِ ما يدلُّ عليها»[2].

وقالَ الكَتَّانيُّ: «أوسعُ موسوعاتٍ عرفَها البشرُ: القرآنُ الكريمُ ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾.

والموسوعاتُ في اصطلاحِ اليومِ: الكتبُ المجموعُ فيها الكلامُ على عِدَّةِ علومٍ، وأنواعِ فهومٍ، كدوائرِ

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٨).

(٢) الإكليل في استنباط التنزيل (١/ ٢٥٣).

المعارفِ، التي قُصِدَ فيها تدوينُ كُلِّ ما يخطرُ بالبالِ، في الماضي والحالِ والاستقبالِ، وقدْ علمتَ مما ذكرناهُ عنِ القرآنِ وما بينَ طواياهُ، أنهُ يجبُ أنْ يكونَ أولَ موسوعةٍ ودائرةِ معارفٍ عرفَها البشرُ، وقدِ اعترفَ بذلكَ حتى فطاحلةُ الفِرِنْجِ»[(١)].

ولذا؛ فإنَّ العلماءَ قد يستنبطونَ منَ الآيةِ الواحدةِ عشراتِ وربما مئاتِ أوْ آلافَ المسائلِ والفوائدِ![(٢)].

---

(١) التراتيب الإدارية (٢/ ٢٢٣).

وللمزيدِ انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ١٠٢٥ – ١٠٤٠)، والتراتيب الإدارية للكتّاني (٢/ ٢٠٨ – ٢٢٥).

(٢) هذهِ بعضُ الشواهدِ على ذلكَ، وسأبدأُها بالتدريجِ مِنْ حيثُ العددِ، فَمِنْ ذلكَ:

– ما استنبطهُ الشيخُ عبدُ الرحمنِ السعدي من آيةِ الدينِ، فقد استنبطَ منها خمسينَ فائدةً! =

= مجموع مؤلفات الشيخ العلّامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي دار الميمان ط ٢ (٢٥/ ٢١٧).

– كما استنبطَ من آيةِ الوضوءِ التي في أوائلِ سورةِ المائدةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ...﴾ الآية: خمسينَ فائدةً!

المرجع نفسه (٢٥/ ٢٢٣).

– وقالَ فخرُ الدينِ الرازي عن آيةِ الوضوءِ أيضًا: «هذا جملةُ الكلامِ في المسائلِ الفقهيةِ المستنبطةِ من هذهِ الآيةِ، وهيَ مائةُ مسألةٍ!

وقد كتبناها في موضعٍ ما كانَ معنا شيءٌ من الكتبِ الفقهيةِ المعتبرةِ، وكانَ القلبُ مُشَوَّشًا بسببِ استيلاءِ الكفارِ على بلادِ المسلمينَ. فنسألُ اللهَ تعالى أنْ يكفيَنا شرَّهُم، وأنْ يجعلَ كَدَّنَا في استنباطِ أحكامِ اللهِ منْ نصِّ اللهِ سببًا لرجحانِ الحسناتِ على السيئاتِ؛ إنهُ أعزُّ مأمولٍ، وأكرمُ مسؤولٍ».

مفاتيح الغيب (١١/ ٣١٦). =

= – وقـالَ أبو بكـرِ ابنُ العربـيِّ المالكيُّ عن آيـةِ الوضوءِ أيضًـا: «ذكـرَ العلماءُ أنَّ هـذهِ الآيةَ من أعظمِ آيـاتِ القرآنِ مسـائلَ وأكثرِها أحكامًـا في العباداتِ، ويـحـقُّ ذلكَ؛ فإنها شـطرُ الإيمانِ، كما قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الوضوءُ شطرُ الإيمـانِ»، في صحيحِ الخبرِ عنهُ. ولقدْ قـالَ بعضُ العلماءِ: إنَّ فيها ألفَ مسألةٍ!

واجتمعَ أصحابُنا بمدينةِ السلامِ فتتبَّعوهَا فبلَّغوهَا ثمانَمائةِ مسألةٍ! ولم يَقْدِروا أنْ يُبلِّغوهَا الألفَ. وهذا التتبُّعُ إنما يليقُ بمنْ يريدُ تعريفَ طرقِ اسـتخراجِ العلومِ من خبايا الزوايا، والـذي يليـقُ الآنَ في هـذهِ العجالةِ مما نحنُ فيـهِ الانتدابُ إلى انتزاعِ الجليِّ، وأنْ نتعرَّضَ لما يسـنحُ خاصةً منْ ظاهرِ مسائلِها». أحكام القرآن (٢/ ٤٧).

– وقال أيضًا: «خُذوا دُستورًا في كلامِه العربيِّ، الذي نظمَهُ لرسولِه الأميِّ، الذي آتاهُ جوامعَ الكلمِ، وأنزلَ عليهِ القرآنَ مُعجـزًا للخلـقِ، فذكرَ قصةَ نـوحٍ في خمسٍ وعشـرينَ آيةً، أملينا عليكمْ فيها خمسَـمائةِ مسـألةٍ! وذكرَ قصةَ موسـى=

= في تسعينَ آيةً، أملينا عليكمْ فيها ثمانَمائةِ مسألةٍ! وأفردَ ليوسفَ سورةً، أملينا عليكمْ فيها ألفَ مسألةٍ! وليسَ يَقْدِرُ أحدٌ منَ الخلقِ على أنْ يجمعَ في قدرِ ذلكَ من الحروفِ مقدارَها من العلومِ، فإذا شاهدتُم هذهِ القدرةَ في المؤلِّفِ بينَ أظهرِكُم، فماذا تستغربونَ منْ أمرٍ فيما غابَ عنكمْ؟!».

العواصم من القواصم (ص: ٢٣٥).

– وقالَ ابنُ القيّمِ عن قصةِ يوسفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سورةِ يوسفَ: «في هذهِ القصةِ منَ العبرِ والفوائدِ والحِكَمِ ما يزيدُ على ألفِ فائدةٍ! لعلّنا إنْ وَفّقَ اللهُ أنْ نُفردَها في مصنَّفٍ مستقلٍّ».

الجواب الكافي (ص: ٤٨٧).

– وقالَ فخرُ الدينِ الرازي عَنْ سورةِ الفاتحةِ: «اعلمْ أنهُ مَرَّ على لساني في بعضِ الأوقاتِ أنَّ هذهِ السورةَ الكريمةَ يمكنُ أنْ يُستنبطَ منْ فوائدِها ونفائسِها عشرةُ آلافِ مسألةٍ! فاستبعدَ هذا بعضُ الحسّادِ، وقومٌ منْ أهلِ الجهلِ والغيِّ والعنادِ، وحملوا ذلكَ على ما ألفوهُ من أنفسِهمْ من التعلُّقاتِ الفارغةِ عنِ المعاني، والكلماتِ الخاليةِ عنْ تحقيقِ المعاقدِ=

قالَ المحبوبيُّ: «كثيرًا ما يكونُ في كتابِ اللهِ وكلامِ الرسولِ لكلمةٍ واحدةٍ ألفُ فائدةٍ! تعجزُ عن دَرْكِهَا أفهامُ العقلاءِ»(١).

= والمباني، فلمَّا شرعتُ في تصنيفِ هذا الكتابِ، قدَّمتُ هذهِ المقدمةَ لتصيرَ كالتنبيهِ على أنَّ ما ذكرناهُ أمرٌ ممكنُ الحصولِ، قريبُ الوصولِ». مفاتيح الغيب (١/ ٢١).

- وقالَ الفيروزُابادي عنْ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾: «هذه أَربعُ كلماتٍ وستةَ عشرةَ حرفًا يتضَّمَّنُ ما يُنيِّفُ على أَلفِ أَلفِ مسأَلةٍ! قد تصدَّى لبيانِها علماءُ الشريعةِ، وفقهاءُ الإِسلامِ في مصنَّفاتِهم؛ حتَّى بلغوا أُلوفًا منَ المجلَّداتِ، ولم يبلغُوا بعدُ كُنهَهَا وغايَتَهَا!». بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٦٩).

(١) التوضيح في حلّ غوامض التنقيح - المطبوع مع شرحه التلويح - (١/ ٢٧٨).

وكـذا الحـالُ بالنسـبةِ للسـنةِ النبويَّـةِ؛ فقـدْ أُوتيَ ﷺ جوامعَ الكَلِمِ، وهي الكلماتُ القليلةُ التي اشتملتْ على معانٍ كثيرةٍ(١).

---

(١) مِـمَّـا يـدلُّ على ثَـراءِ الأحاديثِ النبويَّـةِ بالمعاني رَغْـمَ قِلّةِ ألفاظِهـا، أنَّ العلماءَ قدِ اسـتنبطوا منَ الأحاديـثِ الوجيزةِ الفوائدَ والمسائلَ الكثيرةَ، فمنْ ذلكَ:

– حديثُ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟»:

قـالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ: «في هذا الحديثِ عدةُ فوائدَ جمعَهَا أبـو العباسِ أحمـدُ بنُ أبي أحمـدَ الطبريُّ المعـروفُ بابنِ القـاصِّ الفقيهُ الشـافعيُّ صاحبُ التصانيـفِ في جزءٍ مفردٍ [مطبـوع] ..... وذكرَ ابـنُ القاصِّ في أولِ كتابِـهِ أنَّ بعضَ النـاسِ عابَ على أهلِ الحديثِ أنهم يروونَ أشـياءَ لا فائدةَ فيها، ومَثَّلَ ذلكَ بحديثِ أبي عميرٍ هذا، قالَ: وما درى أنَّ في هذا الحديثِ منْ وجوهِ الفقهِ وفنونِ الأدبِ والفائدةِ سـتينَ وجهًا! ثم سـاقَهَا مبسوطةً، فلخّصتُها مستوفيًا مقاصدَهُ، ثم أتبعتُهُ بما تيسَّر منَ الزوائدِ عليهِ». فتح الباري (١٠/ ٥٨٤).=

= **وانظر**: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/ ٥٩).

وفي التراتيب الإدارية للكَتّاني (٢/ ٩٨):

«**قـالَ ابنُ غـازي**: حدثني أبو الحسـنِ ابنُ منونٍ أنـهُ بلغهُ أنهُ - أي ابنَ الصباغِ - أملى في درسِهِ بمكناسَ على حديثِ (أبي عميرٍ ما فعل النغير) أربعَمائةِ فائدةٍ! وكانَ آخرَ ما أقرأَ بها.

قـالَ: وكنتُ تأملتُ هـذا الحديثَ فانقدحَ لـي زُهاءُ مائتينِ وخمسـينَ مـنَ الفوائدِ! فقيّدتُ رسـومَها، ولم أجـدْ فراغًا لبسطِها: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ اهـ. **وانظر** ج ٤ مـن «نفـح الطيـب»، وترجمة أبي عبـد الله بن الصباغ المكناسي من «كفاية المحتاج» لأبي العباس السوداني.

وقال ابن غازي أيضًا في حواشيه على «الصحيح»: مرَّ بنا أنَّ بعضَ العلماءِ اسـتنبطَ منها زُهاءَ ثلاثِـمائةِ فائدةٍ! وسـمعتُ مَنْ يذكرُ عن أبي الفضلِ ابنِ الصباغِ المكناسـيِّ بلديِّنا أكثرَ من ذلكَ، وكنتُ أعملتُ فيهِ الفكرَ، فرسمتُ في مبيَّضةٍ فوائدَ مـا يزيدُ على المائتينِ! إلا أنهـا لا يخلو بعضُها من تداخلٍ، واللهُ أعلمُ. اهـ». =

= – حديثُ ذي اليدينِ، الذي فيهِ سهوُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاةِ:

استنبطَ العلماءُ منهُ أكثرَ منْ مائةِ فائدةٍ!

– حديثُ شاةِ أمِّ عطيّةِ الأنصاريَّةِ:

استخرجَ بعضُ العلماءِ منهُ أكثرَ منْ مائةِ فائدةٍ!

انظر: توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم للراجحي (٣/ ٢٣٩).

– حديثُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»:

ألَّفَ الحافظُ السيوطيُّ في شرحِهِ كتابًا مبسوطًا سمّاهُ: «منتهى الآمال في شرح حديث إنما الأعمال»، وهوَ مطبوعٌ، وقد ذكرَ تحتَهُ تسعًا وسبعينَ ومائةَ مسألةٍ!

– حديثُ: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الحِلُّ مَيْتَتُهُ»:

ذكرَ ابنُ دقيقِ العيدِ في كتابِهِ: «الإمام» تحتَ هذا الحديثِ ثلاثَمائةِ مسألةٍ!

– حديثُ: عِتْقِ بَريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

ذكرَ النوويُّ أنَّ ابنَ خزيمةَ وابنَ جريرٍ قدْ أفرداهُ بتصنيفينِ=

= كبيرينِ أكثرا فيهمَا منَ استنباطِ الفوائدِ منهُ!

وذُكـرَ أنَّ بعضَ المتأخِّرينَ أوصلَ الفوائدَ من حديثِ بريرةِ إلى أربعِمائةِ فائدةٍ!

انظر: فتح الباري لابن حجر (٥/ ١٩٤).

– حديثُ: أمِّ زرعٍ:

أفـردَهُ طائفـةٌ كبيرةٌ منَ العلمـاءِ بمصنفاتٍ كبيـرةٍ، وذكروا تحتَهُ مسائلَ كثيرةً! وقدْ طُبعَ كثيرٌ منْ تلكَ المصنفاتِ.

– حديثُ: الأعرابيِّ الـمُجامعِ في نهارِ رمضانَ:

ذكـرَ الكرمانيُّ أنَّ بعضَ العلماءِ اسـتنبطَ مـن هذا الحديثِ ألفَ مسـألةٍ وأكثـرَ!! الكواكب الدراري في شـرح صحيح البخاري (٩/ ١١١).

قلتُ: هذا العالمُ هوَ القاضي عزُّ الدينِ عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ الكرديُّ، الهكاريُّ المصريُّ الشافعيُّ، المعروفُ بابنِ خطيبِ الأشـمونينَ (ت ٧٢٧ هـ)، وكتابُه الذي شرحَ فيهِ هذا الحديثَ يقعُ في مجلدينِ.

انظر: أعيـان العصر وأعوان النصـر للصفدي (٣/ ٦٧)،=

ب - وجُزْئِيَّةٍ: وهذهِ الطريقةُ خاصةٌ بالعلمِ أو الفنِّ الواحـدِ، بحيثُ يَتَّخِـذُ مُرْتادُها كتابًا شـاملًا جامعًا في ذلكَ الفنِّ، ويجعلَهُ مركزًا يدورُ في فلكِهِ لا يُجاوزُهُ.

= والعقـد المذهب في طبقات حملة المذهب لابن الملقن (ص: ٤١١)، والـدرر الكامنة في أعيـان المائة الثامنة لابن حجر (٣/ ١٦٤).

- حديثُ: «البَيِّنَةُ عَلَى الـمُدَّعِي وَاليَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ»:

وردَ بعضُ هـذا الحديثِ في الصحيحينِ، وهـوَ مِنْ جوامعِ الكلمِ. قـال في «البزازيّة»: وقد اسـتُخرجَ مِنْ هذا الحديثِ مائتَا ألفِ مسألةٍ!!! العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية لابن عابدين (٢/ ٣٥).

تنبيه: أفردَ طائفةٌ كبيرةٌ من العلماءِ بعضَ الأحاديثِ - سِوى مـا تقدَّمَ - بمصنَّفاتٍ مسـتقلّةٍ. انظرها في كتاب: «التعريف بما أُفردَ من الأحاديث بالتصنيف» للشيخ يوسف بن محمد العتيق، طبع دار الصميعي.

إِشْرَاقَةٌ

يَا مَنْ يَـرُومُ طَرِيـقَ العِلْمِ وَالرَّشَـدِ

(لِـلْـمَـرْكَـزِيَّـةِ) سَـارِعْ غَـيْـرَ مُتَّئِدِ

أَصْـلٌ أَصِيـلٌ لِنَيْـلِ العِلْـمِ فَاعْتَمِدِ

لَكِنْ مَعَ الصَّبْـرِ وَالإِتْقَـانِ وَالـجَلَدِ

فَالـحَقُّ وَالنُّورُ فِي (الأَخْبَارِ) وَ(السُّوَرِ)

٣ – الطّرِيقَةُ المَدْرَسِيّةُ

هذهِ الطريقةُ تُعْنَى بالمدارسِ العِلْميَّةِ والفِكْريَّةِ، في زمنٍ مُعيَّنٍ، أوْ قُطْرٍ مُعيَّنٍ، أو ضمنَ مسارٍ فِكْريٍّ أو عِلْميٍّ مُعيَّنٍ.

وهيَ تنقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

١ – المدارسُ الزمنيَّةُ: وهيَ المدارسُ التي تكونُ في فترةٍ زمنيَّةٍ مُعيَّنةٍ، كالقرنِ السابعِ مثلًا.

فيَعتني الدارسُ بجمعِ ودراسةِ كلِّ ما تمَّ إنتاجُه في هذهِ الفترةِ التاريخيَّةِ، بحيثُ يَستقصي النتاجَ العلميَّ والفكريَّ فيها، ثم يقومُ بتقسيمِ ذلكَ إلى أقسامٍ وَفْقَ ما يراهُ مناسبًا؛ لِيسهلَ عليهِ بعدَ ذلكَ دراستُه واستيعابُهُ.

٢ - المـدارسُ القُطْريَّـةُ: وهـيَ المـدارسُ التـي تُعْنَى بالحركةِ العلميَّةِ في قُطْرٍ مُعيَّنٍ، سـواءٌ أكانَ قارّةً، كإفريقيا مثلًا، أمْ جهةً، كالمغربِ العربيِّ مثلًا، أمْ دولةً، أمْ مدينةً.

مثلُ: اعتناءِ الأستاذِ محمد عبد الله عنان، والدكتور إحسان عباس، بالمدرسةِ الأندلسيةِ.

واعتناءِ الشيخِ محمد صبحي حلَّاق بنتاجِ المدرسةِ اليمانيّةِ .... وهكذا.

٣ - المـدارسُ العِلْميَّةُ والفِكْريَّـةُ: هيَ المدارسُ التي تهتمُّ بتوجُّهٍ عِلْميٍّ أو فِكْريٍّ مُعيَّنٍ.

مثلُ: المدرسةِ الظاهريَّةِ التي تُنسبُ لداودَ الظاهريِّ وابنِ حـزمٍ، وأشـهرُ مُنظِّريها والقائميـنَ عليها في هذا

العصرِ، الأديبُ أبو عبدِ الرحمنِ بنُ عقيلٍ الظاهريُّ.

ومثلُ: مدرسةِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلميَّةِ، وما دارَ في فلكِها، فإنها استقطبتْ طائفةً كبيرةً من أساطينِ العلمِ في وقتِها، كالمِزِّيِّ، وابنِ القيّمِ، والذهبيِّ، وابنِ عبدِ الهادي، وابنِ كثيرٍ، وابنِ رجبٍ ... وغيرِهم إلى وقتِنا الحاضرِ.

ومثلُ: المدرسةِ الحديثيَّةِ التي قادها الحافظُ زينُ الدينِ العراقيُّ (ت ٨٠٦ هـ)، فقدْ كَوكَبتْ طائفةً كبيرةً من حُفَّاظِ الحديثِ وجهابذتِهِ، كالهيثميِّ، ووليِّ الدينِ العراقيِّ، وسبطِ ابنِ العجمي، والبوصيريِّ، وابنِ حجرٍ العسقلانيِّ، وتقيِّ الدينِ الفاسي، والسخاويِّ، والسيوطيِّ، وخلقٍ كثيرٍ.

ومثلُ: مدرسةِ أئمةِ الدعوةِ النجديَّةِ؛ محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ، وأولادِهِ، وطلابِهِ.

على أنـهُ يُـمكنُ المزجُ بينَ هـذهِ المدارسِ كلِّها أو بعضِهـا، فتؤخذُ مثلاً: المدرسـةُ الحديثيَّـةُ في مصرَ في القرنِ الثامنِ، وهكذا[1].

❋❋❋

(١) **وللمزيد انظر:** كتابي «التأصيل العلمي» (ص: ٢٤٥).

إِشْرَاقَةٌ

(لِلْمَدْرَسِيَّةِ) بَادِرْ أَيُّهَا السَّاعِي

إِلَى صُرُوحِ العُلَا، وَاجْنَحْ لِإِسْرَاعِ

مَدَارِسُ العِلْمِ أَنْوَاعٌ، فَكُنْ وَاعِ

وَامْزُجْ بِعَزْمِكَ تَأْصِيلًا بِإِبْدَاعِ

فَرُبَّمَا وَصَلَتْ رِجْلَاكَ لِلْقَمَرِ!

❋❋❋

٤ – الطَّرِيقَةُ المَدَارِيَّةُ

هذهِ الطريقةُ طريقةٌ دقيقةٌ في تحصيلِ العلمِ والتبحُّرِ فيهِ، ولا سيَّما للمؤصَّلينَ تأصيلًا عِلْميًّا عاليًا.

وهيَ أنْ يَعْمِدَ المتعلِّمُ لعالِمٍ مَوسوعيٍّ كبيرٍ، فينكبَّ على نتاجِهِ العلميِّ: قراءةً، ودراسةً، وعنايةً.

لكنْ ينبغي أنْ يكونَ هذا العالمُ على منهجٍ صحيحٍ، وعقيدةٍ سليمةٍ، وليسَ بالضرورةِ أنْ يكونَ منَ المتقدِّمينَ، بلْ لا بأسَ أنْ يكونَ منَ المتأخِّرينَ، أو منَ المعاصرينَ، إنْ كانَ على ما وصفتُ!

ولذا تجدُ في كتبِ التراجِمِ والتأريخِ قولَهم: فلانٌ صاحبُ فلانٍ، أوْ غلامُ فلانٍ، أوْ كاتبُ فلانٍ، إذا لازمَهُ

مـدةً مديدةً منَ الزمنِ؛ لأخـذِ العلمِ عنهُ، واعتنى بكتبِهِ ومؤلفاتِه، حتى عُرفَ بهِ.

ومِنَ الأعلامِ المحقِّقينَ الكبارِ الذينَ يصلحُ الواحدُ منهم أنْ يكونَ مشروعَ عُمُرٍ - وهذا على سبيلِ التمثيلِ لا الحصرِ -:

ابـنُ جريـرٍ الطبـريُّ، والخطيـبُ البغـداديُّ، وابنُ عبدِ البـرِّ، وابنُ تيميَّةَ، وابنُ القيِّـمِ، وابنُ رجبٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ حجرٍ العسقلانيُّ، ومحمدُ بنُ عبدِ الوهابِ، والصنعانيُّ، والشوكانيُّ، وصدِّيقُ حسن خان، ومحمدُ الأمينُ الشـنقيطيُّ، وعبدُ العزيزِ بنُ بـازٍ، وناصرُ الدينِ الألبانيُّ، ومحمـدُ بنُ صالحٍ العُثيميـنُ، وبكرُ أبو زيدٍ، ومَنْ على شاكلتِهِمْ منَ العلماءِ المحقِّقينَ.

ومِـمَّنْ اشتهرَ بسلوكِ هذهِ الطريقةِ، طائفةٌ كبيرةٌ منَ المتقدِّمينَ والمعاصرينَ، منهم:

- القاضي أبو يوسفَ ومحمدُ بنُ الحسنِ، معَ الإمامِ أبي حنيفةَ.

- وعبدُ الرحمنِ بنُ القاسمِ، معَ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ.

- والربيعُ بنُ سليمانَ المراديُّ، معَ الإمامِ الشافعيِّ.

- وصالحُ بنُ أحمدَ وأخوهُ عبدُ اللهِ، معَ أبيهما الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ.

- وعبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ قاسمٍ، معَ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ.

- وبكرُ أبو زيدٍ، معَ ابنِ قيِّمِ الجوزيَّةِ.

- ويُسري السيّد محمد، معَ ابنِ قيِّم الجوزيَّةِ أيضًا.

- وبشارُ عوّاد معروف، معَ الذهبيِّ.

- وعبدُ العظيمِ الديب، معَ الجويني.

- وأيمنُ فؤاد السيد، معَ المقريزي.

- ومحمودُ الطناحيُّ، معَ محمودِ شاكرٍ.

- ومشهورُ حسن آل سلمان، مع ابنِ الملقّن، ومحمد تقيِّ الدينِ الهلالي.

- وعلي بن حسن عبد الحميد الحلبي، معَ الألباني.

- وفهدُ بنُ ناصرٍ السليمانُ، معَ ابنِ عُثيمينَ.

ومِمَّنْ سارَ على هذا النهجِ أيضًا، وإنْ لَّم يُوفَّقْ في اختيارَ العالِمِ الذي صمدَ إليهِ دراسةً وعنايةً:

- عبدُ السلام هارون، معَ الجاحظِ المعتزليِّ!

- والدكتورُ عبدُ الرحمن بدوي، مع أرسطو وابنِ سينا وغيرِهما منَ الفلاسفةِ!

- وعبدُ الفتّاح أبو غُدّة، معَ شيخِهِ الـمُعَثَّرِ الكوثريِّ!

❋❋❋

إِشْرَاقَةٌ

أَمَّا (الـمَدَارُ) لِأَخْـذِ العِلْمِ عَنْ عَلَمِ

فَإِنَّـهَـا تُوصِـلُ الإِنْسَـانَ لِلْقِمَـمِ

فَاقْصِدْ إِلَى عَالِـمٍ فِي العِلْمِ ذِي قَدَمِ

وَاصْمُـدْ إِلَى كُتْبِهِ بِالـدَّرْسِ وَاغْتَنِمِ

فَسَـوْفَ تَـحْظَى لَدَيْهِ بِالشَّـذَا العَطِرِ

❋❋❋

٥ – الطَّرِيقَةُ الشَّجَرِيَّةُ

هذهِ الطريقةُ طريقةٌ مفيدةٌ جِدًّا في فهمِ الفنِّ، وهَضْمِ مسائلِهِ، وحُسْنِ تصوّرِهِ، ولا سيَّما للمبتدئينَ في العلمِ، أو غيرِ المتخصّصينَ.

وفيها يَعْمِدُ العالِمُ أو المتعلِّمُ إلى تفتيتِ الفنِّ الواحدِ إلى مسائلَ وجزئياتٍ صغيرةٍ جِدًّا، أو بعبارةٍ أخرى إلى تشجيرِ الفنِّ؛ وهذا هوَ السببُ في تسميةِ هذهِ الطريقةِ: (**الطريقة الشجريَّة**)؛ تشبيهًا لها بالشجرةِ؛ فإنَّ الشجرةَ لها ساقٌ: وهوَ هنا الفنُّ، وأغصانٌ: وهيَ فصولُ الفنِّ ومباحثُهُ، وأوراقٌ: وهيَ مسائلُهُ وجُزئياتُهُ.

ومن فوائدِها: أنهُ يتمُّ ضغطُ كميَّةٍ كبيرةٍ من المعلوماتِ في مساحةٍ صغيرةٍ، حتى إنهُ ربما لُخِّصَتِ

الصفحاتُ الكثيرةُ في صفحةٍ واحدةٍ.

وليسَ بالضرورةِ أنْ يكونَ التشجيرُ للفنِّ كاملًا، بلْ يمكنُ أنْ يُشجِّرَ المتعلِّمُ مبحثًا منْ مباحثِهِ، أو مسألةً من مسائلِه؛ ليتمكَّنَ من فهمِها وهضمِها.

ومنهُ ما يصنعُه مَنْ يشتغلونَ بتخريجِ الأحاديثِ ودراسةِ الأسانيدِ؛ حيثُ يستطيعونَ من خلالِ تشجيرِ الحديثِ متنًا وسندًا، الوصولَ إلى الحكمِ الدقيقِ عليهِ.

وقدْ أُلِّفتْ مؤلفاتٌ كثيرةٌ على هذا المنوالِ، في شتَّى العلومِ والفنونِ، **منها:**

- «**الجداول الجامعة في العلوم النافعة**»: للشيخِ جاسمِ بنِ محمدِ مهلهلِ الياسينَ وآخرينَ. وشملتْ عشرةَ فنونٍ. ولعلَّهُم أولُ من فتحَ هذا البابَ.

- **سلسلة العلوم الإسلامية الميسَّرة**: للدكتور عماد علي جمعة.

- **سلسلة التراث الإسلامي المشجَّر**: له أيضًا.

- **سلسلة التراث الإسلامي المنسَّق**: له أيضًا.

وهـوَ مُتصدِّرُ هذا البـابِ بلا منازعٍ؛ فقدْ اشـتملتْ هذهِ المشاريعُ الثلاثةُ على تشجيرِ أكثرِ العلومِ والفنونِ والكتبِ المهمّةِ في الدينِ واللغةِ.

- **موسوعة أنطوان الدحداح في علم العربيّة**.

وقد صدرَ منها عدةُ أجزاءٍ.

- **«الفوائد في تسـهيل مسـائل الفرائـض»**: لفايز بن أحمد الغامدي.

- «الـهديَّة، في القواعد النحويَّة بالشواهدِ القرآنيَّة»: لأحمد عبد الحليم الطويل.

- «قلائد الذهب في أنساب العرب»: لكامل سلمان الجبوري.

قامَ فيهِ بتشـجيرِ كتابِ: «أنساب العرب» لابنِ حزمٍ الأندلسيِّ.

ويدخـلُ في هذا البـابِ الأطالسُ العلميّـةُ بأنواعِها المختلفةِ، ومنها:

- «أطلس السيرة النبويَّةِ»: لشوقي أبو خليل.

- «أطلس تاريخ الإسلام»: لحسين مؤنس.

- «الأطلس التاريخي للعالم الإسـلامي»: لمحمود عصام الميداني.

- **مجموعـة أطالس المغلوث**: لسـامي بن عبد الله المغلوث.

وقـد صدرتْ لهُ أطالسُ كثيرةٌ، في السـيرةِ والتاريخِ والفِـرقِ والأديانِ وتراجـمِ الأعلامِ، ولـهُ الصدارةُ في هذا البابِ.

❋❋❋

إِشْرَاقَةٌ

وَإِنْ أَرَدْتَ لِـهَضْـمِ الفَـنِّ أُسْـلُوبَا

وَكَانَ فَهْمُـكَ لَوْ حَاوَلْتَ مَسْـلُوبَا!

فَاعْمِدْ (لِتَشْجِيرِهِ) فِي الرَّقِّ مَكْتُوبَا[1]

فَفِـي الـجَدَاوِلِ يَغْـدُو الفَنُّ مَـحْبُوبَا

وَأَجْـمَلُ العِلْمِ مَا قَدْ لَاحَ كَالشَّجَرِ!

❋❋❋

(١) الرَّقُّ: هوَ الصحيفةُ البيضاءُ.

٦ – الطَّرِيقَةُ المِحْوَرِيَّةُ

هـذهِ الطريقةُ تعتمـدُ على فنِّ بناءِ المسـائلِ بعضِها على بعضٍ.

وهيَ طريقةٌ قدْ تكونُ عَسِرةً نَوعًا مَّا؛ وذلك لتشعُّب مسـائلِها وارتباطها بفنونٍ كثيرةٍ، ولذا فإنهُ لا يُتقنُها إلَّا المتمكِّنونَ في العلمِ.

ولعـلَّ مِنْ أظهرِ أمثلتِها: ما ذكره السـيوطيُّ من أنهُ جاءَ ذاتَ مرَّةٍ إلى شيخِه مُحيي الدينِ الكَافِيَجي، فقالَ لهُ الشـيخُ: اعْرِبْ (زيدٌ قائمٌ)، فقالَ: قد صِرْنا في مقامِ الصِّغـارِ! وَنُسـألُ عنْ هذا؟! فقالَ لـي: في (زيدٌ قائمٌ) مائةٌ وثلاثةَ عشـرَ بَحْثًا!! فقال السيوطيُّ: لا أقومُ من هـذا المجلـسِ حتـى أسـتفيدَها، فأخرجَ لـي تَذكرتَه

فكتبتُها منها![1].

ومِنْ أمثلتِها أيضًا: القواعدُ الفقهيَّةُ الخمسُ الكبرى، التي تندرجُ تحتَها مسائلُ الفقهِ، **كما قالَ الناظمُ:**

الـفِـقْـهُ مَـبْـنِـيٌّ عَـلَـى قَـوَاعِـدِ
خَـمْـسٍ، هِـيَ: الأُمُـورُ بِـالْـمَـقَـاصِـدِ
وَبَـعْـدَهَـا الـيَـقِـيـنُ لاَ يُـزَالُ
بِـالـشَّـكِّ، فَـاسْـتَـمِـعْ لِـمَـا يُـقَـالُ

---

(١) بُغية الوعاة (١/ ١١٨).

والكَافِيَجِيُّ: هوَ محمدُ بنُ سليمانَ الروميُّ البرعميُّ أبو عبدِ اللهِ الكَافِيَجِي (نسبةً إلى «الكافيةِ» في النحوِ؛ لأنهُ اشتهرَ بتدريسِها).

– **وقدْ ألَّفَ الشيخُ** أحمدُ بنْ زيني دحلان كتابَ «إعرابُ جاءَ زيدٌ»؛ بقصدِ التمرينِ للأطفالِ المتعلِّمينَ كما قال في مقدمةِ كتابِهِ. وهوَ مطبوعٌ في (٥٣) صفحةً.

وَتَجْلِبُ الْمَشَقَّةُ التَّيْسِيرَا

ثَالِثُهَا، فَكُنْ بِهَا خَبِيرَا

رَابِعُهَا فِيمَا يُقَالُ: الضَّرَرُ

يُزَالُ، قَوْلاً لَيْسَ فِيهِ غَرَرُ

خَامِسُهَا الْعَادَةُ قُلْ: مُحَكَّمَهْ،

فَهَذِهِ الْخَمْسُ جَمِيعًا مُحْكَمَهْ[1]

فهذهِ القواعدُ الخمسُ ذكر العلماءُ أنَّها داخلةٌ في جميعِ أبوابِ الفقهِ أو غالبِها.

❋❋❋

(١) الفواكه الجَنِيَّة للفاداني (ص: ٩١).

إِشْرَاقَةٌ

وَ(الـمِحْوَرِيَّـةُ) أُسْـلُوبٌ لِـمَنْ بَرَزَا

وَكَانَ بِالعِلْـمِ وَالآدَابِ مُكْتَنِـزَا

وَلَيْـسَ تَصْلُـحُ قَطْعِيًّا لِـمَـنْ عَجَزَا

وَكَانَ فِي العِلْمِ يَشْكُو الفَقْرَ وَالعَوَزَا

لِأَنَّـهَـا صَعْبَةٌ فِـي الـوِرْدِ وَالصَّدَرِ!

❋❋❋

٧ – الطَّرِيقَةُ القُطْرِيَّةُ

هذهِ الطريقةُ يَعْمِدُ فيها الدارسُ إلى قُطْرٍ مشهورٍ(١)، فيتصدَّى لدراسةِ نتاجِهِ العلميِّ، معَ العنايةِ بدراسةِ مَنْ قطنهُ من العلماءِ؛ وذلكَ لأنَّ بعضَ الأقطارِ لها خصائصُ تتميَّزُ بها عنْ بقيّةِ الأمصارِ والنواحي، كوفرةِ العلماءِ فيها، أو كثرةِ الرحلةِ إليها، أو قوةِ الحِراكِ العلميِّ بها، أو تمكُّنِ السنةِ والعقيدةِ الصحيحةِ فيها(٢)، أو ارتباطِها

---

(١) القُطْرُ: النَّاحِيَةُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾، وَمِنْهُ قيلَ الْقُطْرُ: لجملةٍ منَ الْبِلَادِ والنَّواحِي تتَمَيَّزُ باسمٍ خَاصٍّ. (ج) أقطارٍ. المعجم الوسيط (٢/ ٧٤٤).

(٢) مِنَ الأمثلةِ على ذلكَ: ما ذكرهُ أبو حيانَ الأندلسيُّ عنِ الأندلسِ، حيثُ قالَ: «لمَّا ظهرَ من قاضي الجماعةِ أبي الوليدِ محمدِ بنِ أبي القاسمِ أحمدَ بنِ أبي الوليدِ بنِ رشدٍ=

= الاعتناءُ بمقالاتِ الفلاسفةِ والتعظيمُ لهم، أغرى بهِ علماءُ الإسلامِ بالأندلسِ المنصورَ: منصورَ الموحِّدينَ يعقوبَ بنَ يوسفَ بنِ عبدِ المؤمنِ بنِ عليٍّ ملكَ المغربِ والأندلسِ حتى أوقعَ بهِ ما هو مشهورٌ منْ ضربِهِ ولعنِهِ وإهانتِهِ، وإهانةِ جماعةٍ منهمْ على رؤوسِ الأشهادِ، وكانَ مما خُوطبَ بهِ المنصورُ في حقِّهم قولُ بعضِ العلماءِ الشعراءِ [هوَ ابنُ جُبيرٍ الأندلسيُّ]:

خَلِيفَتَنَا جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا
عَنِ الْإِسْلَامِ وَالسَّعْيِ الْكَرِيمِ
فَحَقُّ جِهَادِهِ جَاهَدْتَ فِيهِ
إِلَى أَنْ فُزْتَ بِالْفَتْحِ الْعَظِيمِ
وَصَيَّرْتَ الْأَنَامَ بِحُسْنِ هَدْيٍ
عَلَى نَهْجِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
فَجَاهِدْ فِي أُنَاسٍ قَدْ أَضَلُّوا
طَرِيقَ الشَّرْعِ بِالْعِلْمِ الْقَدِيمِ=

= وَحَـرِّقْ كُتْبَهُمْ شَرْقًا وَغَرْبًا
فَفِيهَا كَامِنًا شَرُّ الْعُلُومِ
يَدُبُّ إِلَى الْعَقَائِدِ مِنْ أَذَاهَا
سُمُومٌ، وَالْعَقَائِدُ كَالْجُسُومِ
وَفِي أَمْثَالِهَا إِذْ لَا دَوَاءَ
يَكُونُ السَّيْفُ تِرْيَاقَ السُّمُومِ

وقال:

يَا وَحْشَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ فِرْقَةٍ
شَاغِلَةً أَنْفُسَهَا بِالسَّفَهْ
قَدْ نَبَذَتْ دِينَ الْهُدَى خَلْفَهَا
وَادَّعَتِ الْحِكْمَةَ وَالْفَلْسَفَهْ!

وقال:

قَدْ ظَهَرَتْ فِي عَصْرِنَا فِرْقَةٌ
ظُهُورُهَا شُؤْمٌ عَلَى الْعَصْرِ
لَا تَقْتَدِي فِي الدِّينِ إِلَّا بِمَا
سَنَّ ابْنُ سِينَا، أَوْ أَبُو نَصْرِ!=

بأحداثٍ تاريخيَّةٍ مُهمَّةٍ، أو لغيرِ ذلكَ من الدواعي.

وهـذهِ العنايـةُ يُمكـنُ أنْ تكـونَ في فـترةٍ محـدَّدةٍ، كمـا صنـعَ آدم متـز في كتابِـهِ «الحضـارة الإسـلامية

= ولَـمَّا حللتُ بديارِ مصرَ ورأيتُ كثيرًا من أهلِهَا يشتغلونَ بجهـالاتِ الفلاسـفةِ ظاهـرًا من غيـرِ أنْ يُنْكِرَ ذلـكَ أحدٌ، تعجبـتُ مـن ذلـكَ؛ إذْ كنَّا نشـأنا في جزيـرةِ الأندلسِ على التـبرؤِ من ذلـكَ والإنكارِ لهُ، وأنهُ إذا بيـعَ كتابٌ في المنطقِ إنمـا يُباعُ خُفْيَةً، وأنهُ لا يُتجاسـرُ أنْ يُنطَقَ بلفظِ (المَنْطِقِ)، إنمـا يسـمونهُ المَفْعِلَ! حتـى إنَّ صاحبَنَا وزيـرَ الملك ابنِ الأحمـرِ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ عبـدِ الرحمنِ المعروفَ بابنِ الحكيمِ كتبَ إلينا كتابًا منَ الأندلسِ يسـألني أنْ أشـتريَ أوْ أستنسـخَ كتابًا لبعضِ شـيوخِنا في المنطقِ، فلمْ يتجاسـرْ أنْ ينطقَ بالمنطقِ وهوَ وزيرٌ، فسـمَّاهُ في كتابِـه لي بالمَفْعِلِ!».

البحر المحيط في التفسير (٦/ ٤٦ ٤٧).

في القرن الرابع الهجري»[(١)].

---

(١) كتابُ «**الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام**»، لمؤلِفِهِ المستشرقِ آدم متز الذي كتبَهُ باللغةِ الألمانيّة، كتابٌ نفيسٌ للغايةِ؛ حيثُ أحاطَ فيهِ المؤلفُ بنواحي الحضارةِ الإسلامية في تلكَ الفترةِ، من علومٍ وفنونٍ وسُكّانٍ ومالٍ وإدارةٍ وتجارةٍ وسياسةٍ ... إلخ.

وقد قامَ بترجمةِ الكتابِ إلى العربيّةِ: الأستاذُ محمد عبدالهادي أبو ريده، وجُهدُهُ فيهِ لا يقلُّ عن جهدِ المؤلفِ؛ بل قد يفوقُه!

إذْ لم يكنْ عملُه ترجمةً للكتابِ فحسبُ؛ بل كانَ بحثًا مُضنيًا عن مصادرِه الأصليةِ المتفرقةِ في مختلفِ المدنِ والأقطارِ، وعن أصولِ النصوصِ التي أوردها المؤلفُ، وتصحيحَ ما قد يكونُ قد فاتَ المؤلفَ من ألفاظِها ومعانيها؛ لجهلِ المؤلفِ باللغةِ العربيةِ، ثم كانَ مراجعةً شاملةً دقيقةً لصحةِ ما وردَ من المعلوماتِ في النصوصِ والمراجعِ ذاتِها، ومقابلتَها بنصوصٍ ومراجعَ أكثرَ دقةً وشمولًا... ثم =

أو عمومًا، كصنيعِ الخطيبِ البغداديِّ (ت ٤٦٣ هـ) في «تاريخ بغداد»[(١)]، وابنِ عساكرَ (ت ٥٧١ هـ)

= - ولعلَّ هذا أهمُّ ما يستلفتُ النظرَ - تنظيمُه المراجعَ تنظيمًا شاملًا، واستكمالُه لأسماءِ الأعلامِ، التي لم يتمكنِ المؤلفُ من ضبطِها؛ لأنهُ قد عاجلتْهُ المنيَّةُ والكتابُ في مُسوّداتِهِ لم يُبيِّضْها، إلى غيرِ ذلكَ من الجهودِ العظيمةِ.

وقد أثنى على عملِهِ ثناءً بالغًا، الأستاذُ أحمد أمين، في تقدمتِهِ للكتابِ.

والكتابُ مطبوعٌ في مجلدينِ حافلينِ.

(١) «تاريخ بغداد»: يعتبرُ من أهمِّ وأكبرِ المؤلفاتِ التي عُنيتْ بتراجمِ المحدِّثينَ، وأربابِ العلومِ الأخرى، ورجالاتِ المجتمعِ والدولةِ، الذينَ عاشوا ببغدادَ أو زاروها، منذُ إنشائِها حتى عصرِ المؤلفِ، حيثُ ضمَّ الكتابُ (٧٨٣١) ترجمةً.

لكنَّ المؤلِّفَ اعتنى كثيرًا بتراجمِ المحدِّثينَ ونشاطِهِمْ ببغدادَ، بحيثُ تتضاءلُ جهودُ أربابِ الأدبِ والعلومِ الأخرى أمامَهم؛ لأنَّ طلابَ الحديثِ قدْ قصدوها =

في «تاريخ دمشق»[(١)]، والرافعيِّ (ت ٦٢٣هـ) في

= من أقاصي المشرقِ والمغربِ؛ نظرًا لوجودِ فطاحلِ المحدِّثينَ بها، فازدهرتْ الحركةُ الحديثيَّةُ فيها بشكلٍ كبيرٍ. وقد ساعدَ على ازدهارِ الحركةِ العلميةِ ببغدادَ، وجودُ المكتباتِ العامةِ والمدارسِ الخاصةِ لشتى العلوم.

(١) «تاريخ دمشق»: قالَ عنهُ ابنُ خَلِّكانَ: «صنفَ التاريخَ الكبيرَ لدمشقَ في ثمانينَ مجلدةٍ، أتى فيه بالعجائبِ، وهوَ على نسقِ «تاريخ بغداد».

قال لي شيخُنا الحافظُ العلامةُ زكيُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُالعظيمِ المنذريُّ حافظُ مصرَ، أدامَ اللهُ بهِ النفعَ، وقدْ جرى ذكرُ هذا التاريخِ، وأخرجَ لي منهُ مجلدًا، وطالَ الحديثُ في أمرِه واستعظامِه: «ما أظنُّ هذا الرجلَ إلا عزمَ على وضعِ هذا التاريخِ منْ يومِ عقلَ على نفسِه، وشرعَ في الجمعِ من ذلكَ الوقتِ، وإلَّا فالعمرُ يقصرُ عنْ أنْ يجمعَ فيهِ الإنسانُ مثلَ هذا الكتابِ بعدَ الاشتغالِ والتنبُّهِ».

ولقدْ قالَ الحقَّ. ومَنْ وقفَ عليهِ عرفَ حقيقةَ هذا القولِ،=

«التدوين في أخبار قزوين»[(١)].

= ومتى يتسعُ للإنسانِ الوقتُ حتى يضعَ مثلَهُ؟! وهذا الذي ظهرَ هوَ الذي اختارَهُ، وما صحَّ لهُ هذا إلَّا بعدَ مُسَوَّداتٍ ما يكادُ ينضبطُ حصرُها!». وفيات الأعيان (٣/ ٣١٠).

(١) «التدوين في أخبار قزوين»: هذا الكتابُ ضَمَّنَهُ مؤلِّفُهُ عبدُ الكريمِ بنُ محمدٍ الرافعيُّ القزوينيُّ (٣٤٠٩) ترجمةً. كما ضمَّنهُ الكثيرَ منَ **النوادرِ التاريخيةِ**: كاتفاقيةِ أهلِ قزوينَ التي كانت سنةَ (٤٣٠ هـ). **والفوائدِ اللغويةِ**: كالتي ساقها في ترجمةِ وَرَّاقٍ وكيعٍ. **واللطائفِ الحديثيةِ**: كمختلفِ رواياتِ حديثِ (أمِّ زرعٍ).

ولم يطَّلِع على هذا الكتابِ كثيرٌ من المؤرِّخينَ والمشتغلينَ بالتراجمِ، كياقوتَ الحمويِّ وابنِ خلكانَ والصفديِّ والذهبيِّ والسبكيِّ والزركليِّ!

وقد طُبِعَ الكتابُ أولَ مرةٍ سنةَ (١٩٨٥م) في أربعةِ مجلداتٍ، بعنايةِ عزيزِ اللهِ العطاردي الخرشاني.

أَمَّا مدينةُ قَزْوِينُ: فهيَ مدينةٌ كبيرةٌ، تقعُ بينَ طهرانَ وتبريزَ، نعتَها المقدسيُّ بمنجمِ الفقهِ والحكمةِ. =

ويُـمكنُ أنْ يتناولَ الدارسُ أيضًا عِلْمًا أو فَنًّا واحدًا في مِصرٍ من الأمصارِ، عمومًا، أو في فترةٍ محدَّدةٍ، **مثلُ**: «مدرسة التفسير في الأندلس» لمصطفى إبراهيم المشيني، و«مدرسة الحديث في قرطبة» للمؤلِّفِ.

❋❋❋

= استباحها المغولُ سنةَ (٦١٧ هـ) في حياةِ المؤلفِ. وكانتْ عاصمةَ الصفويينَ عامَ (٩٦٢ هـ)، واشتهرتْ في التاريخِ بحروبِها معَ الإسماعيليةِ؛ لوقوعِها بالقربِ من قلعةِ ألموت ومرتفعات الروذبار.

إِشْرَاقَةٌ

طَرِيقَـةُ (القُطْـرِ) يَنْبُوعٌ لِـمَنْ دَرَسَـا

فَفِـي الـمَمَالِكِ عِلْمٌ طَالَمَا انْدَرَسَـا

فَاقْصِـدْ لِبَحْثِ قَضَايَاهُ، وَمَنْ رَأَسَـا

فِيهِ؛ سَـيَأْتِيكَ سَـيْلُ العِلْمِ مُنْبَجِسَـا

وَرُبَّـمَـا فَاضَ حَتَّـى صَـارَ كَالنَّهَرِ!

٨ - الطَّرِيقَةُ السَّهْمِيَّةُ

هـذهِ الطريقةُ يُقصَدُ بهـا النظرُ إلى الغايـةِ والهدفِ والثمرةِ منَ الفنِّ أو المسألةِ، وما تشيرُ إليهِ.

أو بعبارةٍ أخرى: التنبُّهُ للمقاصدِ عندَ دراسةِ المسائلِ والمطالبِ والمباحثِ.

ولـذا تواضـعَ العلماءُ على ذكـرِ المبادئِ العشـرةِ في أولِ كلِّ فـنٍّ عنـدَ إرادةِ دراسـتِهِ، ومنهـا الموضوعُ والثمرةُ[(١)].

---

(١) **يقـول العلماء:** يحصلُ تصوُّرُ أيِّ علمٍ منَ العلومِ على وجهِ الكمالِ بمعرفةِ مبادئِهِ العشرةِ.

وقـدْ تـواردَ على نظمِ هـذهِ المبـادئِ جماعةٌ مـن العلماءِ؛ تسهيلًا لحفظِها على طلبةِ العلمِ؛ لأنَّ النظمَ أثبتُ في الذهنِ.

- فَنَظَمَهَا العلَّامةُ محمدُ بنُ عليٍّ الصبانُ بقولِهِ: =

= إنَّ مَبادِيْ كُلِّ فنٍّ عَشَرَهْ:
الحدُّ، والموضوعُ، ثمَّ الثَّمَرَهْ
وفَضلُهُ، ونِسْبَةٌ، والواضِعْ،
والاسمُ، الاستمدادُ، حُكمُ الشارِعْ
مسائلٌ، والبعضُ بالبعضِ اكتفى،
ومَنْ درى الجميعَ حازَ الشرفَا

– ونَظَمَهَا الخُضَريُّ بقولِهِ:

مبادي أيِّ فنٍّ كانَ: حَدُّ،
وموضوعٌ، وغايةُ، مُستَمَدُّ
مسائلُ، نِسبةٌ، واسمٌ، وحكمٌ،
وفضلٌ، واضعٌ، عَشْرٌ تُعَدُّ

– ونَظَمَهَا المَقَّرِي فقالَ في منظومتِهِ «إضاءة الدُّجُنَّة»:

مَنْ رامَ فَنًّا فلْيُقَدِّمْ أولَا
عِلْمًا بِحَدِّه، وموضوعٍ تلا
وواضعٍ، ونِسْبةٍ، وما استُمدْ
منهُ، وفضلِهِ، وحُكمٍ يُعتمدْ =

واســـمٍ، ومـا أفـــادَ، والـمـسـائـلْ،
فـتـلـكَ عَـشْـرٌ لـلـمُـنَى وَسـائِـلْ

وبعضُهم منهَا على البعضِ اقتصرْ،
ومَـنْ يَكُنْ يَـدري جميعَهَـا انْتَصَرْ!

– ونَظَمَهَا ابنُ ذكري في كتابِهِ «تحصيل المقاصد»، بقولِهِ:

فـــأولُ الأبـــوابِ في الـمـبـاديْ
وتـلـكَ عَـشْـرَةٌ عـلـى الـمـرادِ

الحَدُّ، والموضوعُ، ثمَّ الواضعْ،
والاسمُ، الاستمدادُ، حكمُ الشارعْ

تـصـورُ الـمـسـائـلِ، الـفـضـيـلَـهْ،
ونِـسـبـةٌ، فـائـدةٌ جـلـيـلـهْ

– ونَظَمَهَا بعضُهُمْ بقولِهِ:

إنَّ مـبـادي أيِّ عـلـمٍ كـانَـا
عَـشْـرٌ تـزيـدُ مَـنْ درى عِـرفـانَـا

الـحـدُّ، والـواضـعُ، ثـمَّ الاسـمُ،
والنسبةُ، الموضوعُ، ثـم الحكمُ =

وهذا المنحى قلَّ مَنْ يلتفتُ إليهِ في عصرِنا الحاضرِ، وهوَ كثيرٌ في المتقدِّمينَ، قليلٌ في المتأخِّرينَ.

❋❋❋

= وغـايـةٌ، وفـضـلُـهُ، اسـتـمـدادُ،
مـسـائـلٌ، بـهـا الـهـنـا يـــزدادُ!

إِشْرَاقَةٌ

طَرِيقَةُ (السَّهْمِ) نَحْوَ الغَايِ وَالهَدَفِ

تُحَفِّزُ الذِّهْنَ فِي بَدْءٍ وَمُنْصَرَفِ

فَخُذْ بِهَا؛ فَلَقَدْ جَاءَتْ عَنِ السَّلَفِ

وَاحْرِصْ عَلَيْهَا؛ لِكَيْ تَرْقَى ذُرَى الشَّرَفِ

وَتُحْرِزَ العِلْمَ يَا هَذَا عَلَى الأَثَرِ

❋❋❋

٩ – طَرِيقَةُ التَّلْخِيصِ

المرادُ بهذهِ الطريقةِ أنْ يقومَ الراغبُ بتلخيصِ أهمِّ مسائلِ الفنِّ أو الكتابِ واختصارِها، بحيثُ يَقتصرُ على الأصولِ دونَ التفريعاتِ، معَ الاكتفاءِ بدليلٍ واحدٍ – إنْ وُجِدَ – لكلِّ مسألةٍ، وإعادةِ صياغةِ المبحثِ أو المسألةِ أو الترجمةِ أو غيرِها بإيجازٍ، سواءٌ أكانَ هذا التلخيصُ لنفسِهِ خاصةً، أم للناسِ عامةً؟

وهذهِ الطريقةُ مِنْ أحسنِ الطرقِ لفهمِ مسائلِ العلمِ وضبطِها وإتقانِها؛ لأنَّ الملخِّصَ لابدَّ أنْ يَهضِمَ المسألةَ أولًا قبلَ أنْ يُلخِّصَها، ثمَّ إذا كتبَها ازدادَ فهمًا لها، فيجمعَ بينَ الفهمِ والاستيعابِ، وهذا غايةُ الغاياتِ في تحصيلِ العلومِ والمعارفِ!

وهـذا أسـلوبٌ مطـروقٌ بكثرةٍ عنـدَ العلمـاءِ، ألا تراهـمْ يقولـونَ عنـدَ تلخيـصِ مبحـثٍ أو مطلـبٍ أو مسـألةٍ: حاصلُ كلامِهِ كذا، أو مُـحَصَّلُ الكلامِ كذا[1]، أو خُلاصةُ المسـألةِ كذا وكـذا؛ إذا كانَ الكلامُ طويلًا مُتشعِّبًا.

وقـد اشـتهرَ طائفـةٌ من العلمـاءِ بتلخيـصِ الكتبِ واختصارِها، منهم:

---

(١) مِنْ مُواضعاتِ العلماءِ في هذا قولُهم:

(فِي الْجُمْلَةِ): يُسْتَعْمَلُ في الْإِجْمَالِ.

و(بِالْجُمْلَةِ): في نتيجةِ التَّفْصِيلِ.

و(مُحَصَّلُ الكَلَامِ): إِجْمَالٌ بعدَ تَفْصِيلٍ.

و(حَاصِلُ الكَلَامِ): تَفْصِيلٌ بعدَ الإِجْمَالِ.

الكليَّات للكَفَوي (ص: ٢٨٨).

- محمدُ بنُ مكـرمِ بنِ عليٍّ، ابنِ منظورٍ الانصاريُّ، الإفريقيُّ (ت ٧١١ هـ).

وهوَ أشهرُ من كان يفعلُ ذلكَ!

قـالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ: «كانَ مُغْرًى باختصارِ كتبِ الأدبِ المطوَّلةِ».

وقـالَ الصفـديُّ: «لا أعـرفُ في كتبِ الأدبِ شـيئًا إلَّا وقدِ اختصرَهُ».

ومِنْ مختصراتِهِ:

ـ كتابُ: «نثار الأزهـار، في الليل والنهار، وأطايب الأصائل والأسحار، وسائر ما يشتمل عليه من كواكبه الفلك الدوار»، لخَّصَ فيهِ كتابَ: «فصل الخطاب، في مدارك الحواسّ الخمس لأولي الألباب» للتيفاشـي،

وكتابُه «النثارُ» مطبوعٌ.

- كتابُ: «**مختصر تاريخ دمشق**» لابنِ عساكرَ.

تخيَّرَ فيهِ من تراجمِ الأصلِ، وأهملَ كلَّ ما أوردَهُ ابنُ عساكرَ تحتَ عناوينِ (الألقابِ، ومَنْ عُرفَ بالقراباتِ والأنسابِ)، وقامَ بتهذيبِ الأسانيدِ وإسقاطِ تعددِ الرواياتِ، والجمعِ بينَ فرائدِهَا، مِنْ غيرِ زيادةٍ في العبارةِ، ولا تبديلٍ في ألفاظِ الروايةِ.

وفرّقَ قسمَ النساءِ على مواضعِ تسلسلهنَّ في الكتابِ. وكانَ ابنُ عساكرَ قد جمعهنَّ في جزءٍ مستقلٍّ صدرَ في مقدمةِ المجلداتِ التي قامتْ بتحقيقِهَا الأستاذةُ سكينةُ الشهابي، ويضمُّ ترجمةَ (١٩٦) امرأةً.

وهوَ أهمُّ مختصراتِ «تاريخ دمشق» لابنِ عساكرَ وأشهرُها [١].

ومِمَّا اختصرهُ أيضًا منَ الكتبِ:

كتاب «الأغاني» وهوَ مطبوعٌ في اثنيْ عشرَ جزءًا بعنوانِ «مختار الأغاني».

و«مختصر مفردات ابن البيطار».

و«لطائف الذخيرة» اختصرَ بهِ كتابَ «الذخيرة» لابنِ بسَّام.

و«مختصر تاريخ بغداد» للسمعانيِّ.

و«اختصار كتاب الحيوان» للجاحظِ.

---

(١) طُبعَ لأولِ مرةٍ في دمشقَ، وصدرَ عن دارِ الفكرِ، عام (١٩٨٤م) بعنايةِ طائفةٍ منَ المحقّقينَ، في (٢٩) مجلدًا.

و«مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» للتنوخيِّ [١].

- **الحافظُ شمسُ الدينِ الذهبيُّ (ت ٧٤٨ هـ).**

لهُ أكثرُ من خمسينَ مختصرًا وتلخيصًا ومُنتقًى![٢].

منها: «تلخيصُ المستدرك» للحاكمِ.

و«تلخيصُ كتاب الموضوعات».

و«تلخيصُ العلل المتناهية» كلاهما لابنِ الجوزيِّ.

و«المستحلى في اختصار المحلَّى» لابنِ حزمٍ، وغيرُها.

---

(١) وانظر: الأعلام للزركلي (٧/ ١٠٨).

(٢) انظر: الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام لبشار عواد معروف (ص: ٢١٥ - ٢٦٤).

ومنَ الكتبِ المعاصرةِ:

- «**بغيـة الإيضـاح، لتلخيـص المفتـاح في علـوم البلاغة**»: للشيخِ عبدِ المتعالِ الصعيدي.

- «**فتـح ربِّ البريّـة، بتلخيص الحمويّة**»: للشـيخِ محمدِ بنِ صالحٍ العثيمين.

- **تلخيصُ كتابِ «تاريخ نجدٍ» لابن غَنَّامٍ**: للدكتورِ ناصرِ الدينِ الأسدِ.

❋❋❋

إِشْرَاقَةٌ

إِذَا قَصَـدْتَ لِضَبْطِ العِلْمِ فَاسْـتَمِعِ

لِمَـا أَقُولُ، وَخُـذْ بِالعَـزْمِ وَاضْطَلِعِ

اِعْمِدْ لِـ (تَلْخِيصِ) مَا تَـهْوَاهُ، وَاتَّبِعِ

مَا قَـدْ ذَكَرْتُ بِـلَا خَـوْفٍ وَلَا هَلَعِ

فَسَـوْفَ تَظْفَرُ إِنْ لَـخَّصْتَ بِالدُّرَرِ!

❋❋❋

١٠ – طَرِيقَةُ السُّؤَالَاتِ

طريقةُ السُّؤالاتِ هيَ أنْ يقومَ المستفيدُ بوضعِ أسئلةٍ دقيقةٍ وشاملةٍ لكلِّ بابٍ منْ أبوابِ العلمِ.

وهذهِ الطريقةُ طريقةٌ فاعلةٌ ومهمةٌ في ضبطِ قضايا العلمِ ومسائلِهِ، وهي مجرّبةٌ معروفةٌ.

وقد أُلِّفتْ مؤلَّفاتٌ عِدَّةٌ بهذهِ الطريقةِ، منها:

- «**أعلامُ السنةِ المنشورة**»: للعلّامةِ حافظِ الحكمي.
- «**الأسئلة والأجوبة الفقهية، المقرونة بالأدلة الشرعية**»: للشيخِ عبدِ العزيزِ بنِ محمدٍ السلمان.
- «**الجامع الفريد، للأسئلة والأجوبة على كتاب التوحيد**»: للشيخِ عبدِ اللهِ بنِ جارِ اللهِ بنِ إبراهيمَ الجارَ الله.

- «**تيسير مصطلح الحديث في سؤال وجواب**»: للشيخِ مصطفى ابنِ العدوي.

- «**تسهيل فهم شرح الطحاويّة**»: للدكتور خالدِ بنِ ناصرٍ الغامدي.

حيثُ وضعَ (١٠٣٥) سؤالًا عليها، شملتْ جميعَ مسائلِها.

- «**الأسئلة المئويَّة، على التدمريَّة**»: لهُ أيضًا.

وضعَ فيهِ (٧٧٣) سؤالًا عليها، شملتْ جميعَ مسائلِها.

إِشْرَاقَةٌ

اِحْرِصْ كَثِيرًا عَلَى وَضْعِ (السُّؤَالَاتِ)

فَـــإِنَّ فِـيـهَـا إِفَـــادَاتٍ دَقِـيـقَـاتِ

وَتَـجْعَلُ العِلْمَ سَهْلًا كَالـحِكَايَاتِ!

وَمُشْـكِلُ العِلْمِ يَغْـدُو كَالبَدِيهَاتِ!

فَسِـرْ عَلَيْهَـا لِتَجْنِـي أَطْيَـبَ الثَّمَـرِ

❋❋❋

١١ - طَرِيقَةُ الدّوَائِرِ

طريقةُ الدوائرِ هيَ أنْ تبدأَ منْ نقطةِ المركزِ، ثم تتوسَّعَ شيئًا فشيئًا، كالحجرِ عندَما يُلقَى في اليَمِّ!

فتتعلمَ اليومَ مسألةً، وغدًا اثنتينِ، وبعدَها ثلاثًا، وهكذا ... حتى تقفَ عندَ قَدْرٍ مُعيَّنٍ تستطيعُ استيعابَهُ، ثم تواظبُ عليهِ أبدًا.

وقد تتزاحمُ عليكَ المسائلُ فترجعُ دائرةً أو دائرتينِ حتى يذهبَ عنكَ الكسلُ، ثمَّ تعودُ إلى ما كنتَ عليهِ.

ويُمكِنُ تقسيمُ الوقتِ بحسبِ ذلكَ؛ فبعدَ الفجرِ مثلًا للشيءِ المهمِّ، وبعدَ العصرِ للمتوسِّطِ، وبعدَ العشاءِ للأقلِّ أهميةً، أوْ العكسِ، كُلٌّ بحسبِ حالِهِ.

ومِنَ المهمِّ ألَّا تَخلِطَ مسارًا بمسارٍ؛ حتى لا تختلطَ عليكَ الأمورُ وتضطربَ عليكَ المسائلُ.

❋❋❋

إِشْرَاقَةٌ

(دَوَائِـرُ) العِلْـمِ مِفْتَاحٌ لِـمَـنْ عَزَمَا

وَسَاحَةَ الدَّرْسِ وَالتَّحْصِيلِ قَدْ لَزِمَا

وَبِالتَّعَمُّـقِ فِـي فَهْـمٍ قَـدِ الْتَزَمَـا

فِـي كُلِّ فَـنٍّ، وَإِلَّا عَـادَ مُنْهَزِمَـا!

وَلَـمْ يُبَـرِّزْ بِتَأْصِيـلٍ عَلَـى البَشَـرِ!

❋❋❋

١٢ - طَرِيقَةُ التَّلْقِينِ

هذهِ الطريقـةُ تَعْني أخذَ العلمِ مباشـرةً منَ الشـيخِ بالتلَقِّي، بلا واسطةِ كتابٍ أو نحوِه.

وهـذهِ الطريقةُ تُناسـبُ الفنونَ والمعـارفَ التي لا يمكـنُ أنْ يُحصِّلَها الراغبُ من الكتبِ وحدَها، كعلمِ التجويـدِ، والقـراءاتِ، والخطِّ، والفلـكِ، والطبِّ في بعضِ فروعِهِ، ونحوِها.

وميزةُ هذهِ الطريقةِ أنَّ التعلُّمَ والاستفادةَ عنِ طريقِها يكـونُ قويًّـا ومضمونًـا؛ لأنَّ التلقِّـي بالتلقيـنِ أقـوى درجـاتِ التعلُّمِ، ولذا كانَ جبريـلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُلقِّنُ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوحيَ، قالَ تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾.

قالَ ابـنُ كثيرٍ: «يعنـي: أنـهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كانَ إذا جاءَهُ جبريـلُ بالوحيِ، كلَّما قـالَ جبريلُ آيةً قالهـا معَهُ، من شـدةِ حرصِهِ على حفظِ القرآنِ، فأرشدَهُ اللهُ تعالى إلى ما هوَ الأسهلُ والأخفُّ في حقِّهِ؛ لئلَّا يشقَّ عليهِ. فقالَ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ أيْ: أنْ نجمعَـهُ في صدرِكَ، ثم تقرأَهُ على الناسِ منْ غيرِ أنْ تنسَـى منهُ شيئًا، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾»[1].

❋❋❋

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣١٩).

إِشْرَاقَةٌ

طَرِيـقُ عِلْمِكَ (بِالتَّلْقِيـنِ) مَضْمُونُ

فَاحْـرِصْ عَلَيْهِ؛ فَفِيـهِ العِلْمُ مَكْنُونُ

لَا سِـيَّمَا فِـي فُنُـونٍ تَرْكُهَا هُـونُ[1]

سِـيَّانِ مِنْهُـنَّ مَفْـرُوضٌ وَمَسْـنُونُ

مَا أَحْسَنَ العِلْمَ يُـحْيِي العَقْلَ بِالغُرَرِ

❋❋❋

(١) الـهُونُ: الـخِزْيُ.

١٣ - طَرِيقَةُ التَّذْكِرَاتِ

هـذهِ الطريقةُ طريقةٌ رائدةٌ؛ لأنهـا تجمعُ بينَ المتعةِ والفائدةِ!

حيثُ يقتنـصُ صاحبُها الفوائـدَ، ويقيِّدُ الشـواردَ، ويـدوِّنُ الخواطـرَ، حتى لا تشـردَ عليهِ؛ فلا يسـتطيعُ تداركَها بعدُ. ولذا قيـلَ: العلمُ صيدٌ، والكتابةُ قيدٌ! ثم يُودِعُ ذلكَ كُلَّهُ في (تذكرةٍ) تُجمَعُ فيها المسائلُ والفوائدُ التي اقتنصَهَا، إمَّا في فَنٍّ واحدٍ، وإمَّا على وجهِ العمومِ، كُلٌّ بحسبِ ذوقِهِ وما يراهُ مناسبًا لهُ.

وهيَ أوسعُ مفهومًا منَ التأليفِ، والتأليفُ أدقُّ منها؛ لأنَّ هذهِ غرضُها الجمعُ للمحصِّلِ نفسِهِ؛ ليستفيدَ منها في الحفظِ، أو المدارسـةِ، أو التأليفِ، أو التدريسِ، أو لغيرِ ذلكَ منَ الأغراضِ.

وهذهِ الطريقـةُ طريقةٌ مُريحةٌ للمتعلِّـم؛ لأنهُ يرتِّبُ المسـائلَ والفوائدَ حسـبَ الطريقةِ التي تُوافِقُ مِزاجَهُ، بحيثُ يضعُ كلَّ شيءٍ في مكانِهِ المناسبِ لهُ.

وقـدْ صارتْ هذهِ الأمورُ سـهلةً مَيَسَّـرةً بعدَ وجودِ البرامجِ الحاسـوبيّةِ ومُحـرِّكاتِ البحـثِ الجبَّارةِ، كـ (المكتبةِ الشـاملةِ) بإصداراتِها المختلفـةِ[1] وغيرِها، بحيثُ يَجمعُ المستفيدُ ما يروقُ لهُ من الفوائدِ، ويصنعُ لهُ مَلَفَّاتِ (وُورد) متنوعةً، تخدمُ أغراضَهُ[2].

---

(١) **انظر** كلامي عن مزايا (المكتبة الشاملةِ) في كتابي «التأصيل العلمي» (ص: ٢٨٩).

(٢) لعـلَّ من أظهـرِ النماذجِ على مدى الاسـتفادةِ القُصوى من المكتبـاتِ الحاسـوبيّةِ، مـا قامَ بـهِ الباحثُ **علـي بن نايف الشحّود**، من جمعِ مواضيعَ كثيرةٍ عن طريق النسخِ واللصقِ من (المكتبةِ الشاملةِ)، ثم أودعَها فيها بعدَ ذلكَ.

وقـدْ كانَ هـذا دأبَ العلمـاءِ قديمًـا وحديثًـا، فقد كانَ كثيـرٌ منهـمْ يَجمـعُ لنفسِـهِ تذكـرةً، أو كُنَاشًـا[1]،

---

(١) الكُنَـاشُ - بوزنِ غُـرابٍ -: لفظٌ سُـرْيانيٌّ، معناهُ: جمعٌ من الناسِ.

وكانَ في الأصـلِ يُطلـقُ على البحـثِ أو المقالـةِ في الطبِّ والعلاجاتِ.

ثـمَّ صارَ يُطلـقُ على المجموعـةِ والتذكـرةِ والأوراقِ التي تُجعلُ كالدفترِ، يُقيِّدُ فيها الفوائدُ والشواردُ.

وقـد وقـعَ هـذا اللفـظُ كثيـرًا في كلامِ الحُكمـاءِ والأطباءِ، وسَـمُّوا بهِ بعـضَ كتبِهِم كما يعرفُهُ مَنْ طالـعَ كتبَ الحِكمةِ وفهارسَ الكتبِ.

انظر: شـفاء الغليل للخفاجي (ص: ٢٣١)، وقصد السبيل للمحبي (١/ ٤٠٤)، وتاج العروس للزبيدي (١٧/ ٣٦٩)، وتكملة المعاجم العربية لدوزي (٩/ ١٥٣).

وغالبًا ما تضمُّ الكُنَاشَـاتُ فوائدَ، ونـوادرَ، واختياراتٍ من الشعرِ والخطبِ والرسائلِ والمعارفِ التاريخيةِ والقصصِ =

أو كَشْكُولا[١]، قدْ يَصِلُ بعضُها إلى عشراتِ المجلَّداتِ! يَجترُّونَ منها ما يُفيدونَ بهِ طلَّابَهم، ويُحاضرونَ بهِ جلساءَهم، ويُودِعونَهُ مؤلَّفاتِهم[٢].

= والرواياتِ وأخبارِ الناسِ وعاداتهم، والمواعظِ، والمسائلِ الدينيةِ واللغويةِ، وما إلى ذلكَ، وبعضُها قد يكونُ نادرًا، أو من كتابٍ مفقودٍ لا يُوجدُ!

ومنَ اللطيفِ قولُ بعضِهم:

لا بُـدَّ للطالبِ منْ كُنَاشِ ... يَكتبُ فيهِ راكبًا وماشِـي!

(١) ويُسمَّى هذا اللونُ من الكتبِ أيضًا: المجموعُ، والسفينةُ، والفوائدُ، والأنابيشُ، والثمراتُ، والزنبيلُ، واللطائفُ، والشواردُ، والمِخلاةُ، والمحاضراتُ، والقلائدُ، والسُّفْرَةُ، والخبايا، والنوادرُ، والإفاداتُ، والبستانُ، والخواطرُ، والمسامراتُ، والتحفُ، والمجالسُ أو المجالساتُ، والفنونُ. وغيرُ ذلكَ.

(٢) مِمَّنْ كانَتْ لهُ (تذكرةٌ) حافلةٌ منَ المتقدِّمينَ: =

= – القاضي أمينُ الدولةِ محمدُ بنُ محمدِ بنِ هبةِ اللهِ الأفطسيُّ (ت ٥١٨ هـ)، لهُ «المجموعُ اللفيفُ»، وهو مطبوعٌ.

– بهاءُ الدينِ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ حمدونَ البغداديُّ (ت ٥٦٢ هـ)، لهُ «التذكرة الحمدونية»، وهو مطبوعٌ في عشرةِ مجلداتٍ!

– محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ إبراهيمَ ابنُ قسومٍ اللخميُّ من أهلِ إشبيليةَ (ت ٦٣٩ هـ)، لهُ (تذكرةٌ) تشتملُ على شذورٍ من المنظومِ والمنثورِ، وقد ضمَّنهَا جملةً من كلامِهِ نثرًا ونظمًا.

– إسماعيلُ بنُ عليِّ بنِ محمودِ بنِ محمدِ بنِ عمرَ بنِ شاهنشاه بنِ أيوبَ، الملكُ المؤيدُ، صاحبُ حماةَ (ت ٧٣٢ هـ)، لهُ «نوادرُ العلمِ» مجلدان، و«الكُنَاشُ» في النحوِ والصرفِ، وهو مطبوعٌ.

– أحمدُ بنُ عبدِ الرحيمِ بنِ الحسينِ أبو زرعةَ ابنُ العراقيِّ، قاضي الديارِ المصريةِ (ت ٨٢٦ هـ)، لهُ (تذكرةٌ) في عدةِ مجلداتٍ. =

=– عبدُ الرحيمِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحيمِ المصريُّ، المعروفُ بابنِ الفراتِ (ت ٨٥١ هـ)، لهُ مجاميعُ ومختصراتٌ.

– يحيى بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمدٍ العَقيليُّ الزَّرمانيُّ النحويُّ (ت ٨٦٢ هـ)، لهُ «تذكرةٌ» تشتملُ على فوائدَ.

– شهابُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ البرنسيُّ الفاسيُّ، الشهيرُ بزرُّوق (ت ٨٩٩ هـ)، لهُ كُناشٌ فيهِ فوائدُ، وهوَ من مخطوطاتِ المسجدِ النبويِّ الشريفِ.

– جلالُ الدينِ السيوطيُّ (ت ٩١١ هـ)، له «الفلكُ المشحون، في أنواعِ الفنون»، قالَ في «كشفِ الظنونِ»: «هو تذكرتُه في خمسينَ مجلدًا!! ذكرَهُ في مؤلفاتِهِ».

وقد أشارَ السيوطيُّ إلى الكتبِ التي أفادها من تذكرتِهِ هذهِ في مقدمةِ كتابِه «بغيةِ الوعاةِ».

– عبدُ الباقي بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عليٍّ الخزرجيِّ المقدسيُّ المصريُّ (ت ١٠٧٨ هـ)، له تذكرةٌ سماها (روضةَ الآدابِ) في أربعةِ مجلداتٍ. =

= – ياسينُ بنُ محمدٍ الخليليُّ، المعروفُ بابنِ غرسِ الدينِ (ت ١٠٨٦ هـ)، لهُ «تذكرةٌ» شحنَهَا بالفوائدِ من نظمٍ ونثرٍ.

وغيرُهم.

– ومنَ المتأخِّرينَ والمعاصِرينَ:

– طاهرُ بنُ صالحٍ الجزائريُّ (ت ١٣٣٨ هـ)، لهُ تذكرةٌ طُبعتْ في مجلدينِ كبيرينِ.

– أحمد بن المهدي البُعَزّاوي الفاسي (ت ١٣٣٨ هـ)، لهُ كُناشٌ.

– خليل جواد بنُ بدرِ بنِ مصطفى أبو الوفاءِ الخالديُّ المخزوميُّ (ت ١٣٦٠ هـ)، لهُ (مذكِّرةٌ) في نحوِ خمسينَ جزءًا، في ذكرِ ما وقفَ عليهِ من الكتبِ والمكتباتِ التي زارها.

وكذلكَ: أحمد شفيق باشا، وعبد العزيزِ الميمني الراجكوتي، ومحمد كرد علي، وحسن حسني عبد الوهاب، وأحمد تيمور باشا، ومالك بن نبي، وزكي المحاسني، وعبد الوهاب عزَّام، وقاسم بن محمد الرجب، وأبو الحسن الندْوي، وحمد الجاسر، ومحمد بن الأمين=

قـالَ أبو الحجَّـاجِ البلويُّ: «مـا رأيتُ أحـدًا مـمنْ لقيتُهُ مـنْ أهلِ الآفاقِ، إلَّا ولهُ تعاليقُ وأوراقٌ. تحتوي على حكاياتٍ وأشعارٍ، ورسائلَ وأخبارٍ. وهذهِ الـمُلَحُ هـي حِليةُ الكُتّـابِ، وزينةُ أهـلِ الآدابِ، وفاكهةُ أولي الألبابِ، من أهلِ هذا البابِ. تُنشِّطُ الكسلانَ، وتُوقظُ الوسـنانَ. وتبعثُ الطالبَ على الزيـادةِ، إلى أنْ يلحقَ بالسادةِ»[1].

وإليـكَ مزيدًا من الإيضاحاتِ عـنْ هذهِ الطريقةِ في كلامِ العلَّامـةِ بكر أبو زيدٍ، قـال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ابذلِ الجهدَ في حفظِ العلمِ (حفظَ كتابٍ)؛ لأنَّ تقييدَ العلمِ بالكتابةِ

= بـو خبزة الحسـني، وبكر أبو زيد، وأحمـد العلاونة كما أخبرني، وعبد الله الشمراني، وغيرُهم.

(١) ألف با (١/ ٣٩).

أمانٌ منَ الضياعِ، وقَصْرٌ لمسافةِ البحثِ عندَ الاحتياجِ، لا سيَّمَا في مسائلِ العلمِ التي تكونُ في غيرِ مظانِّهَا، ومِنْ أجلِّ فوائدِهِ: أنهُ عندَ كِبَرِ السِّنِّ وضَعْفِ القوى يكونُ لديكَ مادةٌ تَستجِرُّ منها مادةً تكتبُ فيها بلا عناءٍ في البحثِ والتقصِّي.

ولذا؛ فاجعلْ لكَ (كُنَاشًا) أو (مذكِّرةً)(١)؛ لتقييدِ الفوائدِ والفرائدِ والأبحاثِ المنثورةِ في غيرِ مظانِّهَا، وإنِ استعملتَ غلافَ الكتابِ لتقييدِ ما فيهِ من ذلكَ؛ فحسنٌ(٢)، ثم تَنقُلُ ما يجتمعُ لكَ بعدُ في مذكِّرةٍ؛ مُرتَّبًا

---

(١) سبقَ التعريف بأسمائِها.

(٢) **قلتُ:** دخلتُ مكتبةَ الشيخِ بكرٍ التي في المدينةِ النبويَّةِ وتصفَّحتُ بعضَ كتبِها، فوجدتُه يُقيِّدُ عناوينَ الفوائدِ على أغلفتِها كما ذكرَ هنا.

لـهُ على الموضوعـاتِ، مُقيِّدًا رأسَ المسـألةِ، واسـمَ الكتـابِ، ورقـمَ الصفحةِ والمجلدِ، ثـم اكتبْ على ما قيَّدتَهُ: «نُقِلَ»؛ حتى لا يختلطَ بما لم يُنقَلْ؛ كما تكتبُ: «بلغَ صفحـةَ كذا» فيما وصلتَ إليهِ من قراءةِ الكتابِ؛ حتى لا يفوتكَ ما لم تبلغْهُ قراءةً.

وللعلماءِ مؤلفاتٌ عدةٌ في هذا، منها: «بدائع الفوائد» لابـنِ القيـمِ، و«خبايا الزوايـا» للزركشـيِّ [1]. ومنها:

---

(١) كتابُ «خبايا الزوايا» في فروعِ فقهِ الشافعيةِ.

قـالَ مؤلفُهُ في مقدمتِهِ: «هذا كتـابٌ عجيبٌ وَضعُهُ، وغريبٌ جمعُهُ، ذكرتُ فيهِ المسـائلَ التي ذكرَهَا الإمامانِ الجليلانِ أبو القاسـمِ الرافعيُّ في شـرحِهِ للوجيزِ، وأبو زكريا النوويُّ في روضتِـهِ - تغمدَهُمـا اللهُ برحمتِـهِ - في غيـرِ مظنَّتِهَـا من الأبـوابِ، فقـد يَعـرضُ للفطـنِ الكشـفُ عـن ذلـكَ فـلا يجـدُهُ مذكـورًا في مظنَّتِهِ، فيظنُّ خُلُـوَّ الكتابينِ عنْ ذلكَ، =

كتابُ «الإغفال»[(١)]، و«بقايا الخبايا»[(٢)]، وغيرُها[(٣)].

= وهوَ مذكورٌ في مواضعَ أخرَ منها، فاعتنيتُ بتتبعِ ذلكَ، فرددتُ كُلَّ شكلٍ إلى شكلِهِ، وكُلَّ فرعٍ إلى أصلِهِ؛ رجاءَ الثوابِ، وقصدَ التسهيلِ على الطلابِ».

(١) **كتابُ «الإغفال»**: لأبي عليٍّ الفارسيِّ (ت ٣١١ هـ)، تعقَّبَ فيه كتابَ «معاني القرآن» للزجَّاج، وعلَّقَ عليهِ مُصْلِحًا ما رأى أنهُ أخطأَ فيهِ.

(٢) **كتابُ «بقايا الخبايا»**: لعزِّ الدينِ حمزة بنِ أحمدَ بنِ عليٍّ الحسينيِّ (ت ٨٧٤ هـ)، في فروعِ فقهِ الشافعيةِ، استدركَ فيهِ على (خبايا الزوايا) للزركشي.

وفي ضربِهِ المثلَ بهذهِ الكتبِ الثلاثةِ نظرٌ ظاهرٌ!

(٣) فاتَ الشيخَ هنا، التنويهُ بأشهرِ كتابٍ، في هذا البابِ! ألا وهوَ كتابُ «الفُنونِ»، لأبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي (ت٥١٣ هـ)، الذي قيلَ إنهُ أكبرُ كتابٍ في الدنيا، حتى قالَ بعضُهم: إنه في ثمانمائةِ مجلدٍ! وقيلَ غيرُ ذلكَ.

قالَ عنهُ الحافظُ الذهبيُّ: «لَهُ كتابُ «**الفنون**» لم يُصَنَّفْ =

= في الدُّنيا أكبرُ منهُ، حدَّثني مَنْ رَأَى منهُ المجلَّدَ الفُلانيَّ بعدَ الأربعمائةِ! يَحكي فيه بحوثًا شريفةً، ومناظراتٍ، وتواريخَ، ونـوادرَ، وما قدْ وقعَ لهُ». تاريخ الإسـلام، تح: بشـار عواد (١١/ ٢٠٤).

وقال الحافـظُ ابنُ رجـبٍ الحنبليُّ: «لابنِ عقيـلٍ تصانيفُ كثيـرةٌ في أنواعِ العلمِ. وأكـبرُ تصانيفِهِ: كتابُ «**الفنون**» وهوَ كتابٌ كبيرٌ جِدًّا، فيهِ فوائدُ كثيرةٌ جليلةٌ، في الوعظِ، والتفسيرِ، والفقـهِ، والأصليـنِ، والنحوِ، واللغةِ، والشـعرِ، والتاريخِ، والحكايـاتِ. وفيـهِ مناظراتُـه ومجالسُـه التـي وقعـتْ لهُ، وخواطـرُه ونتائجُ فكرِهِ قَيَّدَها فيهِ». ذيـل طبقات الحنابلة، تح: عبد الرحمن العثيمين (١/ ٣٤٤).

وذكـرَ حاجي خليفة أنَّ ابـنَ عقيلٍ جمعَ في كتابِـه هذا أزيدَ من أربعِمائةِ فنٍّ! كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ١٤٤٧).

وقـد بيَّن ابنُ عقيلٍ منهجَه في كتابِه هذا فقالَ: «ما أزالُ أعلِّقُ ما أسـتفيدُه من ألفاظِ العلماءِ، ومن بطونِ الصحائفِ، ومن صيـدِ الخواطـرِ التـي تنثرُها المناظـراتُ والمقابسـاتُ،=

وعليهِ؛ فَقَيِّدِ العلمَ بالكتابِ، لا سيَّما بدائعَ الفوائدِ في غيرِ مظانِّها، وخبايا الزوايا في غيرِ مساقِهَا، ودُررًا منثورةً تراها وتسمعُها تخشى فواتَها .... وهكذا؛ فإنَّ الحفظَ يضعفُ، والنسيانَ يَعْرِضُ.

قالَ الشعبيُّ: «إذا سمعتَ شيئًا، فاكتبْهُ، ولوْ في الحائطِ!». رواه خيثمة.

= في مجالسِ العلماءِ، ومجامعِ الفضلاءِ، طمعًا في أنْ يعلقَ بي طرفٌ منَ الفضلِ، أبعدُ بهِ عن الجهلِ؛ لعلِّي أصلُ إلى بعضِ ما وصلَ إليه الرجالُ قبلي.

ولو لم يكنْ من فائدتِه عاجلًا إلا تنظيفَ الوقتِ عن الاشتغالِ برعوناتِ الطباعِ، التي تنقطعُ بها أوقاتُ الرعاعِ، [لكفى]، وعلى اللهِ قصدُ السبيلِ، وهو حسبي ونعمَ الوكيلُ». الفنون، تح: جورج المقدسي (١/ ٧).

وإذا اجتمعَ لديكَ ما شاءَ اللهُ أنْ يجتمعَ، فرتِّبْهُ في (تذكرةٍ) أو (كُناشٍ) على الموضوعاتِ؛ فإنَّه يُسْعِفُكَ في أضيقِ الأوقاتِ التي قد يعجزُ عن الإدراكِ فيها كبارُ الأثباتِ»[(١)].

❋❋❋

(١) حلية طالب العلم ط دار العاصمة (ص: ٥٢ - ٥٣).

إِشْرَاقَةٌ

فِـي (التَّذْكِـرَاتِ) غَنَـاءٌ لِلْـمُجِدِّينَا

وَذَا لَعَمْـرُكَ لَا يَـحْتَـاجُ تَبْيِينَـا!

فَاحْـرِصْ عَلَيْهَا لِكَيْ تَـزْدَادَ تَـمْكِينَا

وَيَكْتَسِـي البَحْثُ أَزْهَارًا وَنِسْرِينَا[1]

وَاصْنَعْ (كُنَاشًا) لِـجَمْعِ العِلْمِ، وَاصْطَبِرِ

---

(١) النِّسْرِينُ: وَرْدٌ أَبيضُ عِطْرِيٌّ قَويُّ الرَّائِحَةِ، واحدتُهُ نِسْرِينَةٌ. المعجم الوسيط (٢/ ٩١٧).

١٤ - طَرِيقَةُ المُنَاظَرَةِ

هـذهِ الطريقةُ هي إحـدى الطرقِ السـاميةِ والدقيقةِ لتحصيلِ العلومِ والمعارفِ والآدابِ.

كما أنها من أسبابِ تحريرِ المسائلِ، ونُضْجِ العلومِ والفنونِ وازدهارها، وإقامةِ الحجةِ على المخالفِ[(١)]،

---

(١) مِنَ المناظراتِ المشهورةِ في العصورِ المتأخّرةِ:

- ما وقعَ بينَ الشيخِ عبدِ العزيزِ الحُصَيّنِ، وبينَ علماءِ مكةَ سنةَ (١١٨٥ هـ)، وقدْ كانتْ هذهِ المناظرةُ في مسائلِ توحيدِ العبادةِ، وقدْ أقنعهمْ الشـيخُ الحصيِّـنُ بالصوابِ، واعترفوا بأنَّ هذا هوَ دينُ اللهِ تعالى.

انظـر تفصيلَ هـذهِ المناظرةِ في «روضة الأفـكار والأفهام» لابن غنَّام، تح: سليمان الخراشي (ص/ ٧٨٩ - ٧٩١).=

وإفحامِ الخُصومِ في الدينِ أو الاعتقادِ أو المنهجِ[(١)]، إلى غيرِ ذلكَ منْ فوائدِها، وجميلِ عوائدِها[(٢)].

= – وما وقعَ بينَ الشيخِ حمدِ بنِ ناصرِ بنِ معمَّرٍ ومَنْ معهُ منَ العلماءِ، وبينَ علماءِ مكةَ سنةَ (١٢١١ هـ)، وقدْ أذعنَ علماءُ مكةَ لمقالتِهِ، وطلبوا منَ الشيخِ ابنِ معمرٍ تأصيلَ براهينِه، وتسجيلَ ما ناظرهمْ بهِ، فكتبَ في ذلكَ رسالةً مفيدةً، طُبعتْ فيما بعدُ بعنوانِ: «**الفواكه العذاب، في الرد على من لم يحكِّم السنة والكتاب**».

انظر تفصيلَ المناظرةِ في المصدرِ نفسِهِ (ص: ٩٦٧ – ١٠١٦).

(١) كما هوَ الحالُ في المناظراتِ الكثيرةِ التي جرتْ بين المسلمينَ والنصارى، أو بينَ أهلِ السنةِ والجماعةِ وبينَ أهلِ البدعِ والضلالِ، كمناظرةِ شيخِ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ للبطائحيّةِ والصوفيةِ وغيرِهم.

(٢) انظر بقيَّةَ مزاياها في: مجموع مؤلفات الشيخ العلاّمة عبدالرحمن بن ناصر السعدي دار الميمان ط ٢ (٨/ ٣٦٤).

وقدْ كانتْ المناظراتُ العِلْميَّةُ مُشتهرةً فيما مضى، وهيَ اليومَ قليلةٌ أو نادرةٌ! فقدْ كانَ العلماءُ وطلابُهم - في العُصُرِ الخوالي - يتناظرونَ في المسائلِ العِلْميَّةِ، في المساجدِ والمدارسِ وحِلَقِ العلمِ ومجالسِ الخلفاءِ والأمراءِ والوجهاءِ.

وقدْ حفظتْ لنا كتبُ التاريخِ والتراجمِ والعقائدِ والمحاضراتِ الكثيرَ منْ تلكَ المناظراتِ، التي كانتْ تُعقَدُ بينَ العلماءِ للمناقشةِ والمباحثةِ [1].

ولأهميةِ المناظراتِ في التحصيلِ العلميِّ جعلها العلماءُ فنًّا مستقلًّا، لهُ أُسُسُهُ وقواعدُه، وألَّفوا كتبًا

---

(١) **انظر نماذجَ من ذلكَ في:** كتابِ «النحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم حتى نهاية القرن الخامس الهجري» للدكتور/ محمد آدم الزاكي.

كثيـرةً في المناظـرات، والمحـاورات، والمنافـراتِ، والجدل، وآدابِ البحثِ والمناظرة، وعلمِ الوضعِ[(١)].

وقد حكى أبو الوفاء ابنُ عقيلٍ الحنبليُّ (ت ٥١٣هـ) في كتابِـهِ «**الفنـونِ**»[(٢)] مناظراتٍ كثيـرةً في الفقهِ وغيرِهِ، شغلتْ حَيِّزًا كبيرًا في القَدْرِ الذي طُبِعَ من كتابِهِ.

ومِـمَّنْ حافـظَ على هذهِ الطريقةِ في التعلُّمِ والتعليمِ منَ المتأخِّرينَ، الشـيخُ العلَّامةُ عبدُ الرحمنِ السعديُّ (ت ١٣٧٦ هـ)، فقـد كانَ «من ميزاتِه وشُـفوفِ نظرِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنهُ كانَ يَعقـدُ مناظراتٍ بينَ طلابِهِ المحصِّلينَ؛

---

(١) **انظر**: معجم الموضوعات المطروقة للحبشـي (١/ ٣١٤) و (٢/ ١٨٨٩).

(٢) تقدَّمَ التعريفُ بهِ.

لشحذِ أفكارِهم، وصقلِ أذهانِهم، وتدريبِ ألسنتِهم، وتعويدِهم إقامةَ الحجةِ والبرهانِ»[(١)].

كما كانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُحرِّرُ مسائلَ الخلافِ في المسائلِ الفقهيَّةِ المشكلةِ عنْ طريقِ المناظرةِ الافتراضيَّةِ بينَ: المستعينِ باللهِ، والمتوكّلِ على اللهِ[(٢)].

❋❋❋

(١) مجموع مؤلفات الشيخ العلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي دار الميمان ط ٢ (١/ ١٥٥).

(٢) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ العلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي دار الميمان ط ٢ (٨/ ٣٦٤).
وفي (٢٦/ ٣٩٥ - ٤١٣) منه: «**محاورة دينية اجتماعية**».

إِشْرَاقَةٌ

وَفِي (الـمُنَاظَرَةِ) التَّحْصِيلُ قَدْ حَصَلا

فَالـمَدُّ مِـنْ بَـحْرِهَا بِالعِلْمِ قَدْ وَصَلا

فَاحْرِصْ عَلَى عَقْدِهَا دَوْمًا مَعَ الفُضَلا

وَاحْذَرْ وُقِيتَ مِنَ الـجُهَّالِ وَالدُّخَلا

فَإِنَّـهُـمْ مِثْـلُ أَشْـجَارٍ بِـلَا ثَـمَـرِ!

❋❋❋

١٥ – الطَّرِيقَةُ التَّأْرِيخِيَّةُ

هـذهِ طريقةٌ لطيفـةٌ في تحصيلِ العلـومِ والمعارفِ، وهـيَ أنْ يقصـدَ المحصِّـلُ إلـى العصـورِ العلميَّـة المختلفـةِ، فيقسِّـمَها إلى فـتراتٍ تاريخيَّـةٍ، كلُّ فترةٍ: ثلاثونَ، أو خمسـونَ، أو سـبعونَ، أو مائةُ سنةٍ، ويقرأَ أشهرَ نتاجِها العلميِّ خلالَ تلكَ الفترةِ.

ولا بأسَ أنْ يقتصرَ على عَلَمٍ واحدٍ مشـهورٍ في كلِّ فترةٍ، أو على عِلْمٍ واحدٍ يميلُ إليهِ.

ومَنِ اتبعَ هذهِ الطريقةَ في تحصيلِ العلومِ والمعارفِ، صارَ ذا ثقافةٍ موسوعيةٍ عاليةٍ جِدًّا.

وهذهِ الطريقةُ لها فوائدُ كثيرةٌ؛ منها:

– أنها تُوقِفُكَ على مزايا كُلِّ عصرٍ وثقافته.

– أنها تُساعدُ على فهمِ تسلسلِ العلومِ والفنونِ وترابطِها.

– أنها سببٌ لفهمِ المصطلحاتِ العلميَّةِ وتطوُّرِهَا التاريخيِّ.

ومِمَّا يُساعدُ على ذلكَ الدراساتُ التي تناولتْ الفتراتِ الزمنيّةَ عبرَ القرونِ، أو عبرَ الدولِ. أو تناولتِ الشخصيَّاتِ العلميةَ المشهورةَ في عصرٍ مَّا.

ومِنْ تلكَ الدراساتِ الـمُهمَّةِ:

– «تاريخ آداب العرب»: للرافعي.

– «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري»: لآدم ميتز.

- «الفكر السامي»: للحجوي الثعالبي.

- موسوعة الدكتور شوقي ضيف في الأدبِ العربي.

- «تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي»: للدكتور/ حسن إبراهيم حسن.

- «العلم وبناء الأمم»: للدكتور/ راغب السرجاني.

إِشْرَاقَةٌ

احْرِصْ عَلَى قَصْدِ (تَأْرِيخِيَّةٍ) تَصِلِ

إِلَى الـمُهِمَّاتِ فِي الأَعْصَارِ وَالدُّوَلِ

وَكُنْ شَـغُوفًا وَطَلَّاعًا عَلَى القُلَلِ[1]

وَسِـرْ بِعَـزْمٍ، كَعَزْمِ الفَـارِسِ البَطَلِ

وَسَوْفَ يَهْمِي عَلَيْكَ العِلْمُ كَالـمَطَرِ!

---

(١) القُلَلُ: جَمْعُ قُلَّةٍ، وهِيَ أعْلَى الرأسِ والسَّنامِ والجَبَلِ أو كلِّ شيءٍ. القاموس المحيط للفيروزابادي (ص: ١٠٤٩).

١٦ – الطّرِيقَةُ الهَرَمِيّةُ

هذهِ الطريقةُ لها صفتـانِ: طريقةُ الهرمِ المنصوبِ، وطريقةُ الهرمِ المقلوبِ.

أمَّا الطريقةُ الأولى وهيَ:

أ – طريقةُ الهرمِ المنصوبِ:

فيبدأُ فيها المتعلِّمُ من أسفلِ الهرمِ (القاعدة)، ويتَّجهُ إلى قِمَّتِهِ (الرأس).

والمقصودُ أنَّ المتعلِّمَ يُلِمُّ بجميعِ الفنونِ المهمَّةِ المتاحةِ في عَصْرِه، أو في مِصْرِه، على قدرِ الوُسْعِ والطاقةِ، حتى ينتهي بهِ الأمرُ إلى الوصولِ إلى قِمَّةِ الهرمِ، وهوَ التخصُّصُ الدقيقُ في فنٍّ من فنونِ المعرفةِ، ومِنْ ثَمَّ التبحُّرُ فيهِ.

ولعلَّ أقربَ مثالٍ على ذلكَ، هيَ الدراسةُ النظاميّةُ في المدارسِ والجامعاتِ الحاليّةِ، حيثُ يبدأُ المتعلِّمُ بدراسةِ علومٍ كثيرةٍ أولَ الأمرِ، ثمَّ يتخصَّصُ بعدَ ذلكَ في الدراساتِ العليا في فرعٍ دقيقٍ من فروعِ المعرفةِ.

ب – طريقةُ الهرمِ المقلوبِ:

وفيها يبدأُ المتعلِّمُ من أسفلِ الهرمِ (الرأس)، ويتَّجهُ إلى أعلاهُ (القاعدة).

بحيثُ يبدأ بفنٍّ واحدٍ حتى يُتقنَهُ تمامًا ويتمهَّرَ فيهِ، ثمَّ يتوسَّعُ شيئًا فشيئًا في بقيةِ الفنونِ والمعارفِ؛ حتى يُلِمَّ بها جميعًا.

أو يبدأُ بالتدرُّجِ في فنٍّ واحدٍ ثمَّ يترقَّى فيهِ شيئًا فشيئًا؛ حتى يصلَ إلى التبحُّرِ فيهِ.

ولـكلٍّ من هذيـنِ المنهجينِ أنصـارٌ وأتبـاعٌ، لكنَّ الفيصلَ في هذا هوَ المتعلمُ نفسُـهُ، فعليهِ أنْ يختارَ منها ما يناسبُه، وما ترتاحَ لهُ نفسُهُ.

إِشْرَاقَةٌ

طَرِيقَةُ (الـهَرَمِ الـمَنْصُوبِ) مَشْهُورَهْ

وَمِثْلُهَا (الـهَرَمُ الـمَقْلُوبُ) فِي الصُّورَهْ

فَاعْمِـدْ لِوَاحِـدَةٍ وَالنَّفْسُ مَسْـرُورَهْ

فَكُلُّهَـا فِـي اجْتِنَـاءِ العِلْـمِ مَذْكُورَهْ

وَكُلُّهَـا تُوصِـلُ الطُّـلَّابَ لِلْوَطَـرِ

١٧ – الطَّرِيقَةُ التَّأَمُّلِيَّةُ

هـذهِ الطريقـةُ تعتمدُ علـى قـوةِ النظـرِ والتأمُّلِ في المحسوسـاتِ والمعقـولاتِ؛ بحيـثُ يَنْفُـذُ المتأمِّلُ بفكرِهِ في قضيَّةٍ مَّا، يسـتبطنُ أسرارَهَا، ويسبرُ أغوارَهَا، حتى يصلَ إلى النتيجةِ التي يرومُهَا.

قالَ برهانُ الدينِ الزَّرنوجـيُّ: «ينبغي لطالبِ العلمِ أنْ يكـونَ متأمِّـلًا في جميعِ الأوقـاتِ في دقائقِ العلومِ، ويعتادَ ذلكَ؛ فإنمـا يُدْرِكُ الدقائقَ بالتأمُّلِ، ولهذا قيلَ: **تَأَمَّلْ تُدْرِكْ**.

ولا بُـدَّ منَ التأمُّلِ قبلَ الـكلامِ، حتى يكونَ صوابًا؛ فإنَّ الكلامَ كالسهمِ، فلا بُدَّ منْ تقويمِهِ قبلَ الكلامِ حتى يكونَ مُصيبًا.

وقالَ في «أصولِ الفقهِ»: هذا أصلٌ كبيرٌ، وهوَ أنْ يكونَ كلامُ الفقيهِ المناظرِ بالتأمُّلِ.

وقيلَ: رأسُ العقلِ أنْ يكونَ الكلامُ بالتثبّتِ والتأمُّلِ»[1].

وغالبًا ما يسلكُ هذهِ الطريقةَ: الأدباءُ، والشعراءُ، والمشتغلونَ بالعلومِ العقليَّةِ والرياضيَّةِ، وما أشبهَها.

ولذا قالَ عبدُ اللهِ بنُ المعتزِّ في الشعرِ:

إِنَّ ذا الشعرَ فيهِ ضِيقُ نِطاقٍ
ليسَ مثلَ الكلامَ ما شاءَ قالا
يُكتفَى فيهِ بالخَفِيِّ مِنَ الوَحْيِ
ويَحتالُ قائلوهُ احتيالا!

---

(١) تعليم المتعلم طريق التعلم (ص: ٧٣).

وحولَ هذا المعنى يقولُ ابنُ أبي الحديدِ: «المعاني إذا كثرتْ، وكانتِ الألفاظُ تفي بالتعبيرِ عنها، احتيجَ بالضرورةِ إلى أنْ يكونَ الشعرُ يتضمَّنُ ضُروبًا منَ الإشارةِ، وأنواعًا منَ الإيماءاتِ والتنبيهاتِ، فكانَ فيهِ غموضٌ، كما قالَ البحتريُّ:

والشعرُ لَمْحٌ تكفِي إشارتُهُ
وليسَ بالهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ!

ولسنا نعني بالغموضِ أنْ يكونَ كأشكالِ إقليدسَ والمجسْطي والكلامِ في الجزءِ، بلْ أنْ يكونَ بحيثُ إذا وردَ على الأذهانِ، بَلَغَتْ عنهُ معاني غيرُ مبتذلةٍ، وحِكَمٌ غيرُ مطروقةٍ، فلا يجوزُ أنْ يكونَ الشعرُ الذي يتضمنُ الحِكَمَ ليسَ بالأحسنِ، فثبتَ أنَّ الشعرَ الذي

يتضمنُ الحِكَمَ هوَ أحسنُ الشعرِ. ومعلومٌ أنَّ أحسنَ الشعرِ الذي يتضمنُ الحِكَمَ هو المعنويُّ، كشعرِ أبي تمامٍ ومَنْ أخذَ أخذَهُ»[(١)].

❋❋❋

(١) الفلك الدائر على المثل السائر (٤/ ٣٠٥).

إِشْرَاقَةٌ

وَفِـي (التَّأَمُّـلِ) إِمْتَـاعٌ لِـمَـنْ رَغِبَـا

لَا سِـيَّمَا نَاظِمِـي الأَشْـعَارِ وَالأُدَبَا

لِأَنَّـهَـا تَعْبُـرَ الأَسْـوَارَ وَالـحُجُبَـا

إِلَـى مَعَـانٍ بَدِيعَـاتٍ، فَوَاطَرَبَـا!

فَهَـذِهِ غَايَـةُ الإِمْعَـانِ فِـي الفِكَـرِ

❋❋❋

١٨ - الطَّرِيقَةُ الانْتِقَائِيَّةُ

هـذهِ الطريقـةُ حُلْـوةٌ عذبـةٌ في تحصيـلِ العلـومِ والمعارفِ.

وسببُ حلاوتِها؛ أنها لا تلتزمُ بمنهجيَّةٍ محدَّدةٍ، ولا ترتيبٍ معيَّنٍ في التحصيلِ، بلْ يَطرقُ مُنتهجُهَا كُلَّ بابٍ، ويَضـربُ في كُلِّ غنيمةٍ بسـهمٍ! وذلكَ بـأنْ يقرأَ في كُلِّ شيءٍ، ويَطَّوَّفَ بينَ مصادرِ العلمِ ومراجعِه كيفما شاءَ، دونَما ضابطٍ ولا رابطٍ!

وهذهِ الطريقةُ في مُحصَّلِهَا تَصْنَعُ ما يُسَمَّى بلسـانِ العصـرِ: (الـمُثقَّف) - وهوَ المسـمَّى عنـدَ المتقدِّمينَ (الأديب)[١] - لكنها لا تَصْنَعُ عالِـمًا!

---

(١) قـالَ ابـنُ قتيبـةَ: «كانَ يُقـالُ: إذا أردتَ أنْ تكـونَ عالـمًا =

وهيَ تأتي على ألوانٍ وأشكالٍ، منها:

- أنْ يقرأَ كُلَّ ما يقعُ تحتَ يدِهِ، منْ كتابٍ، أوْ مجلَّةٍ، أوْ صحيفةٍ، أوْ غيرِ ذلكَ.

- أوْ يختارَ فُصولًا مُعيَّنةً مِنْ كتابٍ مُعيَّنٍ يرى أنَّ لهُ فيها فائدةً، فيقرأَها.

=فاقصِدْ لفنٍّ منَ العلمِ، وإذا أردتَ أنْ تكونَ أديبًا فخُذْ منْ كلِّ شيءٍ أحسنَهُ». عيون الأخبار (٢/ ١٤٥).

- وقالَ أبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلامٍ: «ما ناظرني رجلٌ قطُّ وكانَ مُفَنَّنًا في العلومِ إلَّا غلبتُهُ، ولا ناظرني رجلٌ ذو فَنٍّ واحدٍ إلَّا غلبني في علمِهِ ذلكَ!». جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البرّ (١/ ٥٢٣).

- وقالَ خالدُ بنُ يحيى بنِ برمكَ لابنِهِ: «يا بُنيَّ، خُذْ منْ كلِّ علمٍ بحظٍّ؛ فإنكَ إنْ لَّم تفعلْ جهلتَ، وإنْ جهلتَ شيئًا منَ العلمِ عاديتَهُ لَمَّا جهلتَ، وعزيزٌ عليَّ أنْ تُعاديَ شيئًا منَ العلمِ». المصدر نفسه.

- أوْ يختارَ عِدَّةَ كتبٍ، في العقيدةِ والتفسيرِ والحديثِ والتاريخِ مثلًا، فيُحدِّدَ منها ما يَروقُ لهُ، ويقرأهَا.

- أوْ يختارَ مِنْ عِدَّةِ كتبٍ فصولًا في موضوعٍ واحدٍ، فيستوعبَها قراءةً؛ حتى يُلِمَّ بأطرافِ الموضوعِ تمامًا.

- أوْ يفتحَ أيَّ كتابٍ كيفَما اتفقَ، ويقرأَ فيهِ حتى يَمَلَّ!

- أوْ تطرأَ لهُ مسألةٌ مُعيَّنةٌ، فيُفتِّشَ عنها في المصادرِ والمراجعِ حتى يظفرَ بها.

إِشْرَاقَةٌ

وَمَـنْ يُـرِدْ نُتَفًـا مِـنْ غَيْـرِ تَأْصِيـلِ

فَفِـي (انْتِقَائِيَّـةٍ) طُـرْقٌ لِتَحْصِيـلِ

لَكِنَّهَـا دُونَ خَـوْضٍ فِـي التَّفَاصِيلِ

تَـجْنِي لِسَـالِكِهَا بَعْضَ الـمَحَاصِيلِ

مِـنَ العُلُومِ، وَلَا تَـخْلُـو مِنَ الكَدَرِ!

١٩ - طَرِيقَةُ المُذَاكَرَةِ

هـذهِ الطريقـةُ من أنفـعِ الطـرقِ في تحصيـلِ العلم وتثبيتِـهِ؛ لأنَّ مذاكـرةَ العلـمِ مـعَ الأقـرانِ، تُرَسِّـخُ المعلوماتِ، وتُفَتِّقُ أذهانَ سالكيهَا عَنْ دقائقَ قَدْ تخفَى لولَا المذاكرةُ!

جـاءَ في ترجمةِ أبي جعفـرٍ أحمدَ القصارِ الأندلسـيِّ الغرناطيِّ: «قالَ ابنُ الأزرقِ: وكانَ أُسـتاذًا مُـحَقِّقًا، أخذَ عنهُ شـيخُنا العلامةُ أبو إسـحاقَ ابنُ فُتـوحٍ، وحدثني أنَّ الإمامَ أبا إسـحاقَ الشـاطبيَّ كانَ يُطالعُهُ ببعضِ المسائلِ حيـنَ تصنيفِـهِ «الموافقـات»، ويباحثُه فيهَـا، وبعدَ ذلكَ يضعُهَا في الكتابِ، على عادةِ الفضلاءِ ذوي الإنصافِ»[١].

---

(١) نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي (ص: ١١٣).

والأصلُ في هذا مدارسةُ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ القرآنَ معَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلِّ ليلةٍ منْ شهرِ رمضانَ منْ كلِّ عامٍ[1]، معَ أنَّ اللهَ ضمنَ لنبيِّهِ أنْ يجمعَهُ في صدرِهِ بقولِهِ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧].

ويُروى عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا نكونُ عندَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وربما كُنَّا نحوًا منْ ستينَ إنسانًا، فيحدِّثُنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمَّ يقومُ، فنتراجعُهُ بيننَا، هذا وهذا وهذا، فنقومُ وكأنما قد زُرِعَ في قلوبِنَا»[2].

ولذا كَثُرَ حثُّ السلفِ على المذاكرةِ؛ لما فيها منَ الفوائدِ العظيمةِ، فمنْ ذلكَ:

---

(١) أخرجهُ البخاري (ح ٦)، ومسلمٌ (ح ٢٣٠٨).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ٢٦٤).

قـولُ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تـزاوَرُوا، وتذاكَرُوا الحديثَ؛ فإنكمْ إن لَّـمْ تفعلُوا يَدْرُسْ».

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تذاكروا الحديثَ؛ فإنَّ حياتَهُ مذاكرتُهُ».

وقالَ أبو سـعيدٍ الخـدريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تحدَّثـوا؛ فإنَّ الحديثَ يُهيِّجُ الحديثَ».

وقالَ علقمةُ: «تذاكروا الحديثَ؛ فإنَّ حياتَهُ ذِكْرُهُ».

وقالَ الخليـلُ بنُ أحمـدَ: «ذاكِرْ بعلمِـكَ؛ تَذْكُرُ ما عندكَ؛ وتستَفِيدُ ما ليسَ عندكَ».

وقـالَ إسـماعيلُ بنُ رجـاءٍ: «كنَّـا نُجمِّـعُ الصبيانَ فنحدِّثُهم!»

وقالَ إبراهيمُ النخعيُّ: «مَنْ سَرَّهُ أنْ يحفظَ الحديثَ فَليُحَدِّثْ بهِ، ولوْ أنْ يُحدِّثَ بهِ مَنْ لَّا يَشتهيهِ!».

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ المعتـزِّ: «مَنْ أكثرَ مذاكرةَ العلماءِ لم ينسَ ما علمَ، واستفادَ ما لـمْ يعلمْ»[1].

وقدْ عقدَ هذهِ المعاني بعضُ الشعراءِ بقولِهِ:

---

(١) انظر هـذهِ الآثـارَ في: العلم لزهيـر بن حـرب (ص: ١٩)، ومصنـف ابـن أبـي شـيبة (٥/ ٢٨٥)، وسـنن الدارمـي (١/ ٤٧٨)، والمحدّث الفاصل للرامهرمزي (ص: ٥٦٥)، ومعرفـة علـوم الحديث للحاكـم (ص: ١٤٠)، والمدخل إلـى السـنن الكـبرى للبيهقـي (ص: ٢٨٨)، وجامـع بيان العلم وفضلـه لابن عبد البر (١/ ٤٢٣)، والجامع لأخلاق الـراوي وآداب السـامع للخطيـب البغـدادي (٢/ ٢٦٧)، وشرف أصحاب الحديث له أيضًا (ص: ٩٣).

مَـــنْ حَـــازَ الْـــعِـــلْـــمَ وَذَاكَـــــرَهُ

صَـــلُـــحَـــتْ دُنْـــيَـــاهُ وَآخِـــرَتُـــهْ

فَـــــأدِمْ لِـــلْـــعِـــلْـــمِ مُـــذَاكَـــرَةً

فَـــحَـــيَـــاةُ الـــعِـــلْـــمِ مُـــذَاكَـــرَتُـــهْ[1]

وقيلَ: حفظُ سطرينِ، خيرٌ من كتابةِ وِقْرَينِ، وخيرٌ منهمَا مذاكرةُ اثنينِ![2].

❋❋❋

(١) فتح المغيث للسخاوي (٣/ ٣١٦).

(٢) المصدر نفسه.

إِشْرَاقَةٌ

وَفِي (الـمُذَاكَرَةِ) التَّأْصِيلُ مَشْـهُودُ

فَحَبْلُهَـا لِاقْتِنَـاصِ العِلْـمِ مَـمْـدُودُ

وَحَوْضُهَا مِنْ رُضَابِ الفَضْلِ مَوْرُودُ

فَاحْرِصْ عَلَيْهَا؛ فَفِيهَا الـخَيْرُ مَرْصُودُ

وَخَيْرُ أَوْقَاتِـهَا فِي العَصْرِ وَالسَّـحَرِ!

❋❋❋

٢٠ - طَرِيقَةُ الإِيرَادِ

المـرادُ بهذهِ الطريقةِ، أنْ يعتنـيَ الـمُحصِّلُ بالكتبِ التـي ألَّفها العلماءُ في مناقشـةِ المسـائلِ، ورَدِّ بعضِهمْ على بعضٍ فيها. وليسَ المرادُ كُتبَ الردودِ العامةِ؛ فإنَّ لهذهِ باباً آخَرَ.

ومِنْ عباراتِهم المشـهورةِ في هذا: «**الـمُرَادُ لَا يَـمْنَعُ الإِيـرَادَ**»، أيْ لا يلـزمُ من كونِـكَ أردتَ بكلامكَ كذا، أنْ يكونَ مرادُكَ هذا مُسَـلَّمًا، فقـدْ يُورَدُ عليهِ ما يَنقضُهُ ويُبطلُهُ![1].

---

(١) **لطيفةٌ:** نقلَ السيوطيُّ عنْ بعضِهم أنهُ **قالَ:**

«إذا عَجَزَ الفقيهُ عنْ تعليلِ الحكمِ قالَ: هذا تَعبديٌّ!

وإذا عَجَزَ عنهُ النحويُّ قالَ: هذا مسموعٌ! =

وهذهِ الطريقةُ – وإنْ كانتْ غيرَ تأصيليَّةٍ في تحصيلِ العلمِ –، إلَّا أنها مفيدةٌ جِدًّا؛ لأنها تُوقِفُ سالكَهَا على دقائقِ المسائلِ، ونفائسِ التحريراتِ، ولطائفِ التقريراتِ، ولا سيَّمَا إنْ كانَ المؤلِّفُ الذي تصدَّى للردِّ راسخًا في العلمِ.

لكنْ لا ينبغي أنْ يقتصرَ الراغبُ عليها في تحصيلِ العلمِ، خُصوصًا المبتدئينَ في طلبِ العلمِ؛ لأنها إنما تصلحُ للعلماءِ، ولكبارِ طلابِ العلمِ ممنْ حَصَّلَ عِلْمًا جَمًّا.

وما زالَ العلماءُ يتناقشونَ فيما بينهمْ، ويَرُدُّ بعضُهمْ على بعضٍ عبرَ العصورِ. ولو رَصَدْتَ مؤلَّفاتِهم في

= وإذا عَجَزَ عنهُ الحكيمُ قال: هذا بالخاصيَّةِ!».

الأشباه والنظائر (ص: ٦٤٠).

ذلكَ لوجدتَها كثيرةً جدًّا، ولعلَّ من أبرزِ من باشَر هذا النوعَ منَ التأليفِ شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومِنْ أشهرِ هذهِ المؤلَّفاتِ:

- «**الإلزامات والتتبُّع**»: للدارقطني.
- «**منهاج السنةِ النبويَّة**»: لشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ.
- «**الردّ على الإخنائي**»: لهُ أيضًا.
- «**الاستغاثة في الردِّ على البكري**»: لهُ أيضًا.
- «**بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**»: لابنِ القطّانِ الفاسي.
- «**الصارم المنكي في الردِّ على السبكي**»: للحافظِ ابنِ عبدِ الهادي الحنبلي.

- «انتقاض الاعتراض في الردِّ على العيني في شرح البخاري»: للحافظِ ابنِ حجرٍ العسقلانيِّ.

- «غاية الأماني في الردّ على النبهاني»: لمحمود شكري الألوسي.

- «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل»: للمعلِّمي اليماني.

❋❋❋

إِشْرَاقَةٌ

كُتْبُ الـرُّدُودِ إِذَا كَانَـتْ بِـلَا دَخَلِ

وَكَانَ كَاتِبُهَـا فِـي العِلْـمِ كَالـجَبَـلِ

وَغَايَـةُ الـرَّدِّ تَقْوِيـمٌ مِـنَ الزَّلَـلِ

فَاجْنَـحْ إِلَيْهَـا بِلَا خَـوْفٍ وَلَا وَجَلِ

فَالعِلْـمُ يَـا صَـاحِ (إِيـرَادٌ) لِمُقْتَدِرِ!

❋❋❋

تَـمَّ الكِتَاب

وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَاب

وَإِلَيْهِ الـمَرْجِعُ وَالـمَآب

الفِهْرِسُ

الـمُقَدِّمَةُ ٥

طَرَائِقُ تَـحْصِيلِ العُلُومِ ١٠

١ – الطَّرِيقَةُ الـنَّمُوذَجِيَّةُ ١١

٢ – الطَّرِيقَةُ الـمَرْكَزِيَّةُ ١٥

٣ – الطَّرِيقَةُ الـمَدْرَسِيَّةُ ٣٣

٤ – الطَّرِيقَةُ الـمَدَارِيَّةُ ٣٨

٥ – الطَّرِيقَةُ الـشَّجَرِيَّةُ ٤٤

٦ – الطَّرِيقَةُ الـمِحْوَرِيَّةُ ٥٠

٧ – الطَّرِيقَةُ القُطْرِيَّةُ ٥٤

٨ – الطَّرِيقَةُ السَّهْمِيَّةُ ٦٤

٩ – طَرِيقَةُ التَّلْخِيصِ ٦٩

١٠ – طَرِيقَةُ السُّؤَالَاتِ ٧٧
١١ – طَرِيقَةُ الدَّوَائِرِ ٨٠
١٢ – طَرِيقَةُ التَّلْقِينِ ٨٣
١٣ – طَرِيقَةُ التَّذْكِرَاتِ ٨٦
١٤ – طَرِيقَةُ الـمُنَاظَرَةِ ١٠١
١٥ – الطَّرِيقَةُ التَّأْرِيـخِيَّةُ ١٠٧
١٦ – الطَّرِيقَةُ الـهَرَمِيَّةُ ١١١
١٧ – الطَّرِيقَةُ التَّأَمُّلِيَّةُ ١١٥
١٨ – الطَّرِيقَةُ الانْتِقَائِيَّةُ ١٢٠
١٩ – طَرِيقَةُ الـمُذَاكَرَةِ ١٢٤
٢٠ – طَرِيقَةُ الإِيرَادِ ١٣٠
الفِهْرِسُ ١٣٦